الفصل الثالث

تقويم عام لمجالات قراءة التراث الإسلامي

١ـ علم التوحيد ومذاهب المتكلمين .

٢ـ الفلسفة والمنطق وآثارهما على الفكر الإسلامي .

٣ـ التصوفي وأثره في المعرفة الإسلامية .

المبحث الأول

علم التوحيد ومذاهب المتكلمين

يعرف العلم بالله وصفاته وغيرها من أركان الإيمان بعلم التوحيد ، أو علم أصول الدين ، والتوحيد لغة هو العلم بأن الشيء الواحد ، وشرعا اعتقاد الوحدانية لله ذاتا وصفات وأفعالا ، ويطلق ويراد به العلم المدون .

قال ابن أبي العز الحنفي : «علم أصول الدين من أشرف العلوم ، إذ شرف العلم بشرف المعلوم ، وهو الفقه الأكبر بالنسبة إلى فقه الفروع وحاجة العباد إليه فوق كل حاجة ، وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة ؛ لأنه لا حياة للقلوب ، ولا نعيم ، ولا طمأنينة إلا بأن تعرف ربها ومعبودها وفاطرها بأسمائه وصفاته وأفعاله» [(١)] .

وقد عرفه العلماء « بأنه علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية على الغير بإيراد الحجج ودفع الشبه» [(٢)] ، وعرفه ابن خلدون بقوله : «هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة» [(٣)] .

فهو علم يعتمد النظر والاستدلال العقلي بعد الأصول النقلية من الكتاب والسنة والإجماع ؛ لإثبات العقائد الإيمانية ، وصيانتها من شبه المبطلين ، غايته إحكام العقائد الإيمانية بالعلم واليقين ؛ لأن إيمان المقلد فيه نظر عند أئمة الإسلام . ولذلك عده الإمام أبو حنيفة من «الفقه الأكبر» الذي لا يعذر أحد من المسلمين بجهله من جهة الإجمال .

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي : ١/ ٥، ٦.

(٢) كشاف اصطلاح العلوم ١/ ٣٠، مفتاح السعادة لطاش كبرى زادة ٢/ ١٣٢.

(٣) مقدمة ابن خلدون : ٤٥٨.

أهميته بين علوم الشريعة :

يعتبر هذا العلم من أمهات العلوم الإسلامية ، إذ عليه مدار معرفة الله وصفاته وأفعاله ، وإثبات نبوة الرسول ﷺ وصدق ما جاء به ، ومن ثم كان العلم به على وجه الإجمال من فروض الأعيان ، إذ اتفق علماء الملة على أنه أول ما يجب على المكلف معرفته ، والإيمان بذلك إيمانا جازما لا يداخله شك أو إلحاد .

أما الإحاطة به على وجه التفصيل والتوسع في مباحثه فهو فرض كفاية على علماء هذا الشأن ، قال الإمام الغزالي : «اعلم أن التبحر في هذا العلم والاشتغال بمجامعه ليس من فروض الأعيان ، وهو من فروض الكفاية ، إذ تبين أنه ليس يجب على كافة الخلق إلا التصديق الجازم ، وتطهير القلب عن الريب والشك في الإيمان ، وإنما تصير إزالة الشك فرض عين في حق من اعتراه الشك» [١] .

نشأة علم التوحيد وتطوره :

كان علم التوحيد في زمن الصحابة والتابعين ممتزجا بفروع المعرفة الإسلامية ، إذ لم يعرف عنهم تقسيم الدين إلى أصول وفروع ، كما آل إليه الأمر عند نظار المتأخرين ، ولم يكن السلف يغوصون في لجج هذا العلم أو يتقعرون في مباحثه ، بل كانوا يسلكون طريقة القرآن في تقرير أحكام العقيدة ، من غير تمحل مسالك التأويل ، فلم يكن عندهم من التعقيد والتقعر واللغط ما كان عند الفلاسفة والمتكلمين .

قال الإمام مرعي الكرمي الحنبلي «فلم يكونوا يخوضون في حقيقة الذات ، ولا في معاني الأسماء والصفات ، ويؤمنون بمتشابه القرآن ، وينكرون على من يبحث عن ذلك من فلانة وفلان» [٢] .

---

(١) الاقتصاد في الاعتقاد، للغزالي : ١١.

(٢) أقاويل الثقات في تأويل الآيات والسماء والصفات : ٤٦.

ولم يكن ذلك لعجز في عقولهم ، أو لعي في مناهج تفكيرهم ، بل لأن البحث في ذلك علم لا ينفع ، وجهل لا يضر ، ولأن الله أمر العباد بالنظر والتفكير في عالم الخلق والملكوت ، والبحث في سننه في الكون ، لبناء الحضارة وإقامة الدين ، ولم يأمرهم بالبحث عن الجزء الذي لا يتجزأ ، ولا عن الصفات هل هي عين الذات أو غير ذلك ، ولا عن الاستواء هل هو الجلوس أو الاستيلاء ، وما إلى ذلك من الألغاز والأحاجي والتكلفات ، التي لم تغن عن المسلمين شيئا في ميزان التقدم العلمي والحضاري ، بل آلت بكثير من المتكلمين إلى الحيرة والشك قبل الموت ، ومات من طلب السلامة منهم على إيمان العجائز .

فلم يكن عمر ﷺ قامعا لحرية الفكر حين نهى عن الخوض في متشابه القرآن ، ولا كان سلف هذه الأمة أغمارا أمِّيين ، كما يصفهم بذلك أهل الأهواء من المتكلمين حين انصرفوا عن البحث في الإلهيات ، واهتموا بما ينفعهم من علوم الدنيا والدين .

فعن سليمان بن يسار : «أن رجلا يقال له عبد الله بن صبيغ قدم المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن ، فأرسل إليه عمر وقد أعد له عراجين النخل ، فقال من أنت ، قال : عبد الله بن صبيغ ، فأخذ عمر عرجونا من تلك العراجين فضربه حتى أدمى رأسه» ، وفي رواية حتى ترك ظهره دبُرة فأذن له إلى أرضه ، وكتب إلى أبي موسى الأشعري : ألا يجالسه أحد من المسلمين» [1] .

وقد مضى السلف من الصحابة والتابعين على ذلك حتى ظهرت البدع والفتن فحدث في الناس بدعة التأويل ، والانحراف عن مقاصد السلف في الاعتصام بالسنة .

قال ابن أبي العز الحنفي : «وكلما بعد العهد ظهرت البدع ، وكثر التحريف الذي

(١) أخرجه الدرامي في السنن : ١/ ٥٤، واللالكائي في السنة : ١٣٨.

سماه أهله تأويلا ليقبل ، وقل من يهتدي إلى التفريق بين التحريف والتأويل» [١] .

ظهور علم الكلام وفرق المتكلمين :

جرى كثير من المؤرخين على اعتبار مقتل عثمان ﷺ منعطفا تاريخيا لنشأة علم الكلام وفرق المتكلمين ، والحق أن هذه الفتنة كان لها أثر تفرق المسلمين سياسيا ، ولم يظهر فيها شيء من الكلام .

لكن لما انقضى الصدر الأول من الصحابة على رأس المائة الأولى ، ظهر الجدال والمراء في الدين ، ودبت الأهواء والعصبيات المذهبية إلى نفوس بعض المسلمين ، فنشا لديهم نوع من الفضول العلمي في معرفة تفاصيل العقائد الإيمانية ، وكشف حقائق بعض المغيبات .

ثم إنه ظهر من رؤوس الضلال قوم يَتَقَفَّرون العلم ، وينقرون عما لم يأمروا بالبحث فيه ، فصاروا يتكلمون في أبواب الإيمان والعمل ، والوعد والوعيد ، والعدل والتجوير ، والقضاء والقدر ، فأحدث المتكلمون فيها من الأوهام والتخرصات ما لا يخفى .

قال الصفدي : «لم يكن في زمن النبي ﷺ خوض في هذه المسائل ولا في صدر الإسلام وإنما حدث ذلك في أواخر عصر متأخِّري الصحابة ﷺ ، وأول حدوثه في مسألة القدر وفي الاستطاعة من معبد الجُهَنِي وغيلان الدمشقي والجَعد بن درهم ، وتبرّأ منهم متأخروا الصحابة ، وتواصَوا وأوصَوا أخلافهم أن لا يسلموا عليهم ولا يصلّوا على جنائزهم ولا يعودوا مَرضاهم وإنما حملهم على ذلك ما صحّ عن رسول الله ﷺ من ذّم القدرية» [٢] ، ومن بين الأسباب التي أدت إلى ظهور علم الكلام ما يلي :

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي : ١/ ٣٤.

(٢) الوافي بالوفيات للصفدي : ٧/ ٤٤١.

١ـ الانحرافات السياسية زمن الأمويين :

قام سلطان بني أمية بعد معاوية رضي الله عنه بقوة القهر والسلطان ، والتسلط على الأمة بحد السيف ، فأمعن طغاة ولاة بني أمية في المستضعفين تقتيلا وسجنا وتنكيلا ، وأسرف بعضهم في الموبقات والفساد في الأرض لحفظ الملك ، كيزيد بن معاوية ، الذي استباح المدينة ثلاثة أيام في موقعة الحرة عام ٦٣هـ ونكل بالصحابة وأطفالهم ونسائهم ، وفعل بها الأفاعيل التي لم تُشْهَد من قبل ، وباء بإثم قتل الحسين بن علي ﷺ ، فمقته الناس لذلك .

ثم الحجاج بن يوسف الثقفي السفاح المبير الذي أذاق الأمة سوء العذاب وراح تحت رحمة سيفه آلاف الأبرياء بالظِّنة والشُّبهة ، حيث قتل خلقا من القراء والعلماء في معركة دير الجماجم عام ٨٣هـ ، وأذل طائفة من الصحابة . وكان جبارًا عنيدًا ، وناصبيا بغيضا ، ضجت الأمة من ظلمه وطغيانه ، وكانت سنة موته سنة مباركة على المسلمين .

ثم قرة بن شريك الذي كان واليا على مصر زمن هشام بن عبد الملك ، وكان يبنى بها مسجدا ، فإذا فرغ البناءون بالنهار جمع فيه أصحابه بالليل على شرب الخمر ، وقال : «لنا الليل ولهم النهار» [(١)] .

ثم الوليد بن يزيد «فاسق بني أمية» ، اشتغل بالعربدة والسكر وتلطخ بالموبقات ، وأهمل شؤون الأمة ، فصارت الدولة في زمانه إلى هوان وانحدار . قال ابن فضل الله العمري : «الوليد بن يزيد الجبار العنيد لقبا ما عداه و لقبا سلكه فما هداه ، فرعون ذلك العصر الذاهب ، والدهر المملوء بالمعاتب ، يأتي يوم القيامة يقدم قومه فيوردهم النار و يرديهم العار و بئس الورد المورود ، و المورد المردي ، في ذلك

(١) البداية والنهاية، لابن كثير : ٩/ ٨٢.

الموقف المشهود رشق المصحف بالسهام و فسق و لم يخف الآثام» [١] .

روي عنه أنه تزندق ورشق المصحف يوما بالسهام ، لكن لم يصح ذلك ، بل كان فاجرا لاهيا لايعبأ بدين ، ولم يصح عنه كفر ولا زندقة .

فهؤلاء عاثوا في الأرض فسادا ، وساموا أبرياء المسلمين سوء العذاب ، وكانوا يزعمون أن أفعالهم إنما تجري على مقادير الله ، فظهر الكلام في القدرة والإرادة والمشيئة .

فقد جاء معبد الجهني إلى الحسن البصري وقال : «يا أبا سعيد هؤلاء الملوك يسفكون دماء المسلمين ، ويأخذون أموالهم ، ويقولون إنما تجري أعمالنا على مشيئة الله» [٢] .

وكانوا يزعمون أن الخلافة فيهم ، كما في حديث سعيد بن جمهان قال : «قلت لسفينة إن بني أمية يزعمون أن الخلافة فيهم ، قال كذب بنو الزرقاء ، بل هم ملوك من شر الملوك » [٣] .

ومن ثم تكلم الخوارج في أمر الحاكمية ، وغالوا في شأن مرتكب الكبيرة وقضوا بجهلهم أنه مخلد في النار ، وقال غلاة المرجئة لا يناله شيء من عذاب الله لأنه «لا تضر مع الإيمان معصية ، كما لا تنفع مع الكفر طاعة» [٤] .

وزعمت المعتزلة بعدهم أنه في «منزلة بين المنزلتين» ، وحدث ذلك زمن واصل

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي (٢٢٠) .

(٢) في علم الكلام، للدكتور صبحي المحصاني : ٢/ ٢٨٥.

(٣) رواه الترمذي في السنن : ٤/ ٥٠٣ وابن أبي شيبة في المصنف :٧/ ٢٧١ وقال الترمذي :
هذا حديث حسن قد رواه غير واحد عن سعيد بن جمهان ولا نعرفه إلا من حديث سعيد بن جمهان .

(٤) شرح العقيدة الواسطية : ٢٤٦ .

ابن عطاء الذي طرده الحسن البصري عن مجلسه لما قال الفاسق لا مؤمن ولا كافر فانضم إليه عمرو واعتزلا حلقة الحسن فسموا المعتزلة لأجل هذه المسألة [١] .

٢ـ الفضول العلمي عند المسلمين :

كان أمر الناس قائما زمن النبي ﷺ والصحابة على الاهتمام بحفظ الدين ، والنظر في مصالح المسلمين ، ببث العلم والخروج للجهاد والدعوة في الآفاق ، والإمساك عما لا تعلق له بذلك من البحث والتقعر في أمور القضاء والقدر ، والمشيئة ، وأمور الغيب ، مع القعود والبطالة ، مما لاينفع الأمة في شيء .

فلما اتسعت الفتوح الإسلامية وثاب الناس إلى الإسلام ، وحصل الأمن والاستقرار ، نشأ عند بعض البطالين من ذوي الفضول حب النظر والتنقير عما نهوا عن البحث فيه ، من أمر القضاء والقدر والمشيئة .

فلم يخل بعد ذلك عصر و لا مصر إلا ظهر فيه مبتدع متكلم من أصحاب المقالات،كغيلان الدمشقي ، والجعد بن درهم ، وعمرو بن عبيد ، وبشر بن غياث المريسي ، وثمامة بن أشرس من رؤوس المعتزلة ، وبذلك ضعف عندهم أمر النظر في سنن الله في الكون ، والاهتمام بحفظ الدين علما وعملا وجهادا ، وغرقوا في الجدل والمناظرات .

وصار هؤلاء المتكلمون يقولون على الله ما لا يعلمون ويفتنون الناس بما يأتون ، بمحض الظن والتجرؤ على الله ، وهم أبعد الخلق عن الاقتداء ، وأجهلهم بسنن الاهتداء ، ودب علم الكلام في الناس دبيب الخمر في أبدان السكارى وماهم بسكارى ، لكنه داء ذلك العصر ، أتى على الأخضر واليابس .

٣ـ دعوى صيانة العقيدة من شبه الخصوم :

لقد أظل الإسلام بعد زمن الصحابة خلائق من العجم ، ممن كانوا على دين

---

(١) انظر سير أعلام النبلاء : ٥/ ٤٦٤ .

المجوس ، والهنود ، واليهود والنصارى ، فتسربت بعض معتقدات هؤلاء إلى بلاد الإسلام ، وكان من أشهر البدع التي أثرت في بعض حديثي العهد بالإسلام ، بدعة التجسيم التي تسربت إلى التراث الإسلامي من ديانة اليهود المحرفة ، والقول بالتثليث عند النصارى ، والقول بالتناسخ الذي هو من دين البراهمة والهنود المجوس .

كما قام بعض ملاحدة النصارى والغنوصيين بالطعن على العقيدة ، كيوحنا الدمشقي الذي صنف كتابا للرد على المسلمين ، فيما جاء في شأن المسيح مخالفا لعقيدة النصارى . فكان ذلك مما دعا بعض زعماء الكلام إلى إحداث براهين عقلية للدفاع عن العقيدة ، زعما منهم أن أدلة القرآن والسنة خطابية ، لا تكفي لدحض شبه الخصوم ، وهي شنشنة اعتزالية يشغب بها هؤلاء على الشريعة .

قال ابن خلدون : «والمتكلمون إنما دعاهم إلى ذلك كلام أهل الإلحاد في معارضات العقائد السلفية بالبدع النظرية ، فاحتاجوا إلى الرد عليهم من جنس معارضتهم ، واستدعى ذلك الحجج النظرية ، ومحاذاة العقائد السلفية» [(١)] .

وكانت تلك الشبه من جنس ما أحدثه اليهود والنصارى زمن الرسالة ، قال الشهرستاني : «ويمكن أن نقرر أن زمان كل نبي ، ودور صاحب كل ملة وشريعة ، أن شبهات أمته في آخر زمانه ناشئة من شبهات خصماء أول زمانه ، من الكفار والملحدين ، وأكثرها من المنافقين» [(٢)] . وأشهر هذه الشبه بدعتان ، كان لهما أثر في ظهور الجدل :

بدعة التشبيه عند المجسمة :

وقد انحدرت من دين الغنوصية واليهود ، إذ كانوا يجسمون الله ، ويدعون أنه لما

---

(١) مقدمة ابن خلدون : ١/ ٢١.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني : ١/ ٢١.

عصا آدم ربه ، طفق يختبئ ويتوارى بين أشجار الجنة ، فدخل يبحث عنه ، ويقول أين أنت يا آدم !

وكان ممن تأثر ببدعة التجسيم المفسر «مقاتل بن سليمان » ، فقام الجعد بن درهم ، وجهم بن صفوان ، وغيرهما من دعاة الجهمية والقدرية بدعوى الدفاع عن عقيدة الإسلام يتكلمون في تأويل الصفات ونفيها ، لتنزيه الله في زعمهم عن مشابهة خلقه ، وأسرفوا حتى انتهوا إلى تعطيل الصفات الإلهية [١] .

بدعة نفي القدر عند القدرية :

وقد ظهرت زمن الأمويين ، وتكلم أهل الأهواء فيها بين مُجبرة يرون أن الإنسان لا فعل له مع الأقدار وإنما هو مثل ريشة في مهب الرياح ، وقدرية جهمية يرون أن الإنسان خالق لأفعاله ، ويوجبون على الله فعل الأصلح ولا يرون الشرور في العالم مما خلق الله .

وكان معبد بن خالد الجهني ت٨٠هـ ، أول من تكلم في «القدر» وزعم أن الله لم يخلق أفعال العباد ، وأنه «لا قدر وإنما الأمر أُنُف» ، وقد تبرأ منه ابن عمر ﷺ ، والحسن البصري وقال : « إياكم ومعبد ، فانه ضال مضل» [٢] .

ثم غيلان الدمشقي ت١٠٥ هـ ، الزاهد المتعبد ، الذي عرف بالصلاح والتقوى ، وكان ضالا مضلا ، يجاهر بأن الله لايفعل إلا الأصلح ، وأما الشر فهو صادر عن الإنسان بدعوى تنزيه الله ، وإقرار العدل الإلهي ، وأن الله لا يظلم الناس شيئا .

وكان اختراع ذلك المسلك من غيلان الدمشقي ردا على عقيدة الجبر التي آمن بها بعض طغاة الأمويين ، فصار يستنكر مظالم بني أمية وحججهم الجبرية حتى

---

(١) نشأة التفكير الفلسفي في الإسلام، للدكتور سامي النشار : ٣٢.

(٢) مقدمة صحيح مسلم : ١/ ١٥.

قبض عليه هشام بن عبد الملك وقتله [١] .

وظهر الجعد بن درهم ت ١١٨ هـ رأس المعطلة ، زمن هشام بن عبد الملك ، وكان مؤدب مروان بن محمد الحمار ، تكلم في القدر ، وقال بخلق القرآن وزعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ، ولم يكلم موسى ، فقتله على ذلك خالد بن عبد الله القسري يوم النحر [٢] .

ثم ظهر الجهم بن صفوان الراسبي السمرقندي ت ١٢٨ هـ ، أُسُّ الضلالة ، ورأس الجهمية ، وكان صاحب ذكاء وجدال ، ناظر السمنية من فلاسفة الهند الذين ينكرون من العلم ما سوى الحسيات ، فقالوا له : «يا جهم هذا ربك الذي تعبده هل يُرى أو يشم أو يُذاق أو يلمس؟ فقال :لا ، فقالوا هو معدوم» . فترك الصلاة أربعين يوما وبقي لا يعبد شيئا فلما خلا قلبه من معبود يؤلهه زعم أنه الوجود المطلق ونفى جميع الصفات ، فقتله سلم بن أحوذ أمير خرسان بمقالته هذه ، وعنه أخذ بشر بن غياث المريسي مذهب الاعتزال الذي أضل به المأمون [٣] .

ومن ثم حدثت بدعة القدرية مجوس هذه الأمة الذين قالوا : إن الله تعالى لم يقدر أفعال العباد ، وليست داخلة تحت مشيئته بل ليست مخلوقة ولا معلومة له ، ولا مكتوبة في اللوح المحفوظ ، كما قال غلاتهم ، وأن الأمر أُنُف ، وقد تبرأ منهم صغار الصحابة وأعلام التابعين .

فقد قيل لابن عباس : «إن رجلاً قدم علينا يُكذب بالقدر فقَالَ : دلوني عليه ، وهو يومئذ قد عمي فقالوا له : ما تصنع به فقَالَ : «والذي نفسي بيده لأن استمكنت منه لأعضن أنفه حتى أقطعها» [٤] .

---

(١) نشأة التفكير الفلسفي في الإسلام، للدكتور سامي النشار : ٣٠.

(٢) الوافي بالوفيات للصفدي : ٤ / ١٣ ، لسان الميزان لابن حجر : ١/ ٢٤٨ .

(٣) انظر سير أعلام النبلاء : ٦/ ٢٦ ، والبداية والنهاية : ٩/ ٣٥١ ، و شرح الطحاوية : ٥٢٣.

(٤) الإبانة الكبرى لابن بطة :رقم الحديث : ١٠٠٢.

موضوع علم الكلام ومدارسه :

قال أبو حامد الغزالي : «فأما الكلام فمادته : الميز بين البراهين والأغاليط والميز بين العلوم والاعتقادات ، والميز بين مجاري العقول ومواقفها . وأما مقصوده : فهو الإحاطة بحدوث العالم ، وافتقاره إلى صانع مؤثر ، متصف بما يجب من الصفات ، منزه عما يستحيل تخيله صفة للذات ، قادر على إرسال الرسل وتأييدهم بالمعجزات» [١] .

وقد مثل الكلام في العصر الأموي أربع فرق : الخوارج ، والشيعة والمرجئة ، والمعتزلة ، أما الخوارج والشيعة فقد كانوا شوكة في جنب الخلافة ، وأثاروا الفتن بين المسلمين ، وكانوا أصحاب نشاط سياسي .

وأما المرجئة فكانوا قوما مسالمين ، أرجأوا أمر الحكام إلى الله ، وتولوا إلى ظل القعود ، واقتصروا على الكلام في مسمى الإيمان حيث زعموا أنه لا تضر مع الإيمان معصية ، كما لاتنفع مع الكفر طاعة .

أما المعتزلة فكانوا ذوي اتجاه فكري خالص اختاروا ألا يخوضوا في غمرات السياسة ، وإن عملوا على استمالة من طاوعهم من الحكام والملوك ، واستعانوا على خصومهم من أهل الحديث بقوة السلطان ، فشفوا أنفسهم منهم في محنة القول بخلق القرآن ، وظلوا أهل مداراة ونفاق عبر التاريخ ، و لذلك لم تكسر شوكتهم وانتشر فكرهم حتى ابتلى به كثير من فضلاء الملة في القرون الخالية .

قال ابن تيمية : «ظهر في أواخر عصر الخلفاء الراشدين بدعة الخوارج والتشيع ، ثم في أواخر عصر الصحابة ظهرت القدرية والمرجئة ، ثم بعد انقراض أكابر التابعين ظهرت الجهمية ، ثم لما عربت كتب الفرس والروم ظهر التشبه بفارس والروم ، فظهرت الملاحدة الباطنية الذين ركبوا مذهبهم من قول المجوس واليونان مع ما أظهروه من التشيع» [٢] .

---

(١) المنخول من علم الأصول، للغزالي : ٤ .

(٢) جامع الرسائل والمسائل لابن تيمية : ٥/ ٣٧ .

موقف أئمة السلف من علم الكلام :

اعلم وفقنا الله وإياك أن علم الكلام علم حادث في الملة ، فلم يكن من علوم السلف ، ولا مما يشتغلون به ، لاستغنائهم عن الخوض في زخارفه بما جاء عن الله ورسوله ﷺ في أصول الدين وفروعه .

قال أبو ذر الغفاري : «تركنا رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا وهو يذكر لنا منه علما» [١] .

فليس ثمت أمر من أمور الدين سكت عنه النبي ﷺ ، وإنما يعتقد ذلك جاهل سفه نفسه ، أو مبتدع يريد أن يجيز بدعته على الناس ، ويجد ملجا أو مُدَّخلا يتولج به إلى هواه .

قال الهروي في ذم الكلام : سئل مالك عن التوحيد ، فقال : محال أن يُظن بالنبي ﷺ ، أنه علم أمته الاستنجاء ولم يعلمهم التوحيد ، والتوحيد ما قاله النبي ﷺ : «**أمرت أن أقاتل الناس ، حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، فما عصم به المال والدم ، حقيقة التوحيد**» [٢] .

وقد مضى سلف الأمة على الإيمان بما ورد من أخبار الصفات والسمعيات كما جاءت ، ولم يدخلوا في شيء من ذلك بعقولهم مؤولين ، أو مشبهين أو معطلين ، بل فوضوا علم كيفياتها إلى الله تعالى ، وإن عقلوا معانيها ، إذ هي من علم المتشابه الذي استأثر الله بعلمه ، فلا سبيل إلى إدراكه بنظر العقول .

قال الوليد بن مسلم : «سألت الأوزعي ، وسفيان بن عيينة ، ومالك بن أنس عن الأحاديث في الصفات والرؤية ، فقال : أمروها كما جاءت بلا كيف» وكان سفيان الثوري يقول في أحاديث الصفات : «تفسيرها قراءتها» [٣] .

---

(١) المعجم الكبير للطبراني : ٢/ ١٥٥ ، تفسير ابن كثير : ٢/ ٤٠٥ ، تذكرة الحفاظ للذهبي : ٣/ ٨٢٩ .

(٢) ذم الكلام لأبي ذر الهروي : ٢٢٠ .

(٣) «شرح السنة» للبغوي : ١/ ١٧١ .

وقال الزهري : «على الله البيان ، وعلى الرسول البلاغ ، وعلينا التسليم» . وقال سفيان بن عيينة «كل ما وصف الله تعالى بنفسه في كتابه ، فتفسيره قراءته والسكوت عليه ، ليس لأحد أن يفسره إلا الله ﷻ ورسوله» [١] .

وقد مات أصحاب النبي ﷺ ، وما عرفوا كيفية الاستواء ولا هيئة النزول ، ولا الإتيان ، واليد ولا العين ، ولا القدم ، ولم يشتغلوا بهذه الوساوس ، وما سألوا رسول الله ﷺ عن شيء من ذلك ، فماتوا ولم يضرهم ذلك في دينهم شيئا .

قال أبو الوفاء بن عقيل الحنبلي : «أنا أقطع أن الصحابة ماتوا وما عرفوا الجوهر والعرض ، فإن رضيت أن تكون مثلهم فكن ، وإن رأيت أن طريقة المتكلمين أولى من طريقة أبي بكر وعمر ، فبئس ما رأيت . وقد أفضى الكلام بأهله إلى الشكوك ، وكثير منهم إلى الإلحاد» [٢] .

وعلى هذا جرى الفقهاء المحدثون ، فأمسكوا عن الخوض في الكلام ، ونهوا عنه ، لا عن عي أو جهل ، بل عن علم سكتوا ، لعلمهم أنه لا يشفي غليلا ، ويردي الصحيح عليلا .

قال البغوي : «فهذه صفات الله تعالى ، ورد بها السمع يجب الإيمان بها ، وإمرارها على ظاهرها ، معرضا فيها عن التأويل ، مجتنبا عن التشبيه ، معتقدا أن الباري سبحانه وتعالى لا يشبه شيء من صفاته صفات الخلق وعلى هذا مضى سلف الأمة ، وعلماء السنة ، تلقوها جميعا بالإيمان والقبول ، وتجنبوا فيها التمثيل والتأويل ، ووكلوا العلم فيها إلى الله ﷻ كما أخبر الله سبحانه عن الراسخين في العلم» [٣] .

---

(١) «شرح السنة» للبغوي : ١/ ١٧٢.

(٢) تلبيس إبليس لابن الجوزي : ٨٨.

(٣) شرح السنة للبغوي : ١/ ١٧٣ .

ذم العلماء لعلم الكلام وأنه لا حاجة إليه :

قد ذم الأئمة من الفقهاء والمحدثين علم الكلام ، ورأوا أنه يفضي بأهله إلى الإلحاد ، وصنفوا في ذلك تصانيف ، قمعا لأهل الضلال ، ونصحا للعوام أن يقعوا في حبالهم .

قال الشافعي : «لأن يبتلي العبد بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك خير له من أن ينظر في الكلام ، وإذا سمعت الرجل يقول : الاسم هو المسمى أو غير المسمى فاشهد أنه من أهل الكلام» [١] .

وكان يرى وجوب تأديب المشتغلين بالكلام ، حيث قال : «حكمي في علماء الكلام أن يضربوا بالجيد ويطاف بهم في العشائر والقبائل ، ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ بالكلام» [٢] .

وقال يوسف : «العلم بالكلام هو الجهل ، والجهل بالكلام هو العلم ، وإذا صار الرجل رأسا في الكلام قيل زنديق» [٣] .

وقد تصدى للرد عليهم خلائق من أهل السنة ، كأبي سليمان الخطابي في كتاب «الغنية عن علم الكلام» ، وابن قتيبة في «تأويل مختلف الحديث» ، واللالكائي في «السنة» .

كما صنف قوم في نهي العوام عن تعاطي علم الكلام ، لما يخشى عليهم من الفتنة ، ومنهم الغزالي في «إلجام العوام عن علم الكلام» والسيوطي في «صون المنطق والكلام عن علمي المنطق والكلام» .

وكان فارس هذا الميدان الذي كبت المتكلمين ، وحجرهم في أقماع السمسم ابن

---

(١) تلبيس إبليس، لابن الجوزي : ٧٦.

(٢) تلبيس إبليس، لابن الجوزي : ٧٦.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي : ١٥.

قتيبة الدينوري ٢٧١هـ ، فقد نقل طائفة من بلاياهم ، ووفاهم الكيل صاعا بصاع ، وتقدم لهم بما قدموا باعا بباع ، وعلمهم كيف يكون الهجاء بحروف الهجاء ، وأبان عن تهافت أدلتهم ، وسقوط دعاواهم فيما يدعون من البراهين والحجج العقلية .

قال ~ : «وقد تدبرت رحمك الله مقالة أهل الكلام ، فوجدتهم يقولون على الله ما لا يعلمون ، ويفتنون الناس بنا يأتون ، ويبصرون القذى في عيون الناس ، وعيونهم تطرف على الأجذاع ، ويتهمون غيرهم في النقل ، ولا يتهمون آراءهم في التأويل . ومعاني كتاب الله والحديث وما أودعاه من لطائف الحكمة وغرائب اللغة ، لا يدرك بالطفرة ، والتوليد ، والعَرض والجوهر ، والكيفية والكمية والأينية .

ولو ردوا المشكل منهما إلى أهل العلم بهما لوضح لهم المنهج واتسع لهم المخرج ، ولكن يمنع ذلك طلب الرئاسة ، وحب الأتباع ، واعتقاد الإخوان بالمقالات ، والناس أسراب طير يتبع بعضها بعضا ، ولو ظهر لهم من يدعي النبوة مع معرفتهم بأن رسول الله ﷺ خاتم الأنبياء أو من يدعي الربوبية لوجد على ذلك أتباعا وأشياعا»[1] .

وتتبع شبهات رؤوس الاعتزال كالجاحظ ، وأبي علي الجبائي ، والنظام ، وأبي الهذيل العلاف ، وغيرهم من المتعسفين في التأويل ، والمستهزئين بالسنن ، وكشف عوارهم في هذا الباب .

قال ابن قتيبة : «فإذا نحن أتينا أصحاب الكلام ، لما يزعمون أنهم عليه من معرفة القياس ، وحسن النظر ، وكمال الإرادة ، وأردنا أن نتعلق بشيء من مذاهبهم ، ونعتقد شيئا من نحلهم ، وجدنا النظام شاطرا من الشطار ، يغدوا على سكر ، ويروح على سكر ، ويبيت على جرائرها ، ويدخل في الأدناس ، ويرتكب الفواحش والشائنات وهو القائل :

---

(١) تأويل مختلف الحديث : ٢١.

مازلت آخذ روح الزق في لطف واستبيح دما من غير مجروح
حتى انثنيت ولي روحان في بدني والزق مطرح جسما بلا روح [١]

ثم تلاه إمام أهل السنة أبو الحسن الأشعري ت ٣٢٤هـ الذي كان معتزليا ، خبر مذاهب المعتزلة ، وتمرس بمسالكهم في النظر ، ثم تاب من مذهب الاعتزال ، وقلب لهم ظهر المجن ، ورد أباطيلهم حتى ألجأهم إلى جحور الهزيمة ، بعد أن كانت لهم الصولة ، وواتتهم الدولة زمن المأمون والمعتصم ، فأدال الله الدائرة عليهم ، نصرة لأهل السنة ، قال أبو بكر الصيرفي : «كانت المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم حتى أظهر الله الأشعري فجحرهم في أقماع السمسم» [٢] .

ومن أعلام النقاد لأباطيل المتكلمين الإمام أبو الحسن الأشعري ، في كتابه «مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين» ، ثم ابن تيمية وتلاميذه كابن القيم والذهبي ممن كانوا فرسان حلبة هذا الميدان وأصحاب اليد الطولى فيه نقد مقالات المتكلمين ، وكشف ضلالهم .

وأما اليوم فلا وجه للاشتغال بهذا الغثاء إلا على سبيل المعرفة والفرجة لا للحجة ، فلا يحسبن طالب علم أنه من أصيل علوم الإسلام ، أو كما يظن جهلة أساتذة الفكر الإسلامي أنه لب العلم ولبابه ، ولولا أن تراثنا الإسلامي ابتلى بأوزاره ، ما كان لنا أن نتكلف عناء النظر فيه .

قال ابن خلدون : «وعلى الجملة فينبغي أن تعلم أن هذا العلم الذي هو علم الكلام غير ضروري لهذا العهد على طالب العلم ، إذ المُلحِدة والمُبْتَدِعَة انقرضوا ، والأئمة من أهل السنة قد كفونا شأنهم فيما دَوَّنوا وكَتَبُوا ، وأما الآن فلم يبق منها إلا كلام تنزيه الباري عن الكثير من إيهاماته وإطلاقاته ، ولقد سئل الجنيد رحمه الله

(١) تأويل مختلف الحديث : ١٨ ، وانظر فضائح المعتزلة في الملل والنحل للشهرستاني : ١٠٢ .
(٢) وفيات الأعيان ، لا بن خلكان : ٣/ ٢٨٦ .

عن قوم مر بهم من المتكلمين يفيضون فيه ، فقال ، ما لهؤلاء؟ فقيل : قوم ينزهون الله بالأدلة عن صفات الحدوث ، وسمات النقص فقال : «نفي العيب حيث يستحيل العيب عيب لكن فائدته في آحاد الناس ، وطلبة العلم فاشُية مُعْتَبَرة ، إذ لا يحسن بحامل السنة الجهل بالحجج النظرية على عقائدها» [١] .

وقد انتهى أبو الفتح القشيري ~ إلى القول : «تجاوزت حد الأكثرين إلى العلى وسافرت واستبقيتهم في المفاوز وخضت بحارا ليس يدرك قعرها وسيرت نفسي في فسيح المفاوز ولججت في الأفكار ثم تراجع اختياري إلى استحسان دين العجائز» [٢] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالته الحموية : وقد أخبر الواقف على نهايات إقدام المتكلمة بما انتهى إليه من مرامهم :

لعمري لقد طفت المعاهد كلها ... وسيرت طرفي بين تلك المعالم

فلم أر إلا واضعا كف حائر ... على ذقن أو قارعا سن نادم

فلا فائدة ترجى للمسلمين من دراسته إلا لدحضه ، وكف بلائه عن الناس ، بل حق مصنفات هذه العلوم من الكلام والفلسفة والمنطق الإحراق والإعدام ؛ لأنها أشبه بكتب السحر والطلاسم ، وهي من العلم الذي يضر ولا ينفع ؛ لأن السلف مضوا وما عرفوا هذه الألغاز والأحاجي التي ابتدعها المتكلمون بدعوى الدفاع عن العقيدة ، وانتهوا معها إلى الشك والحيرة قبل الموت نعوذ بالله من الخذلان .

ولذلك قال الذهبي ~ : «فو الله لأن يعيش المسلم جاهلا خلف البقر ،لا يعرف من العلم شيئا سوى سور من القرآن ، يصلى بها الصلوات ويؤمن بالله وباليوم الآخر ، خير له بكثير من هذا العرفان وهذه الحقائق» [٣] .

---

(١) مقدمة ابن خلدون : ٤٦٧ .

(٢) الحجة على تارك المحجة لابن طاهر المقدسي : ١/ ١١٠ .

(٣) ميزان الاعتدال في نقد الرجال : ٣/ ٦٦٠ .

المجال الثاني
الفلسفة والمنطق أثرهما في المعرفة الإسلامية

إن قصة المسلمين مع الفلسفة قصة مليئة بالفواجع والنكبات ، إذ كانت سببا رئيسيا في نشأة الجدل والخلاف بين المسلمين في الأصول ، الذي ضيع عليهم زمنا طويلا ، وتسبب في ضعف شوكتهم وذهاب مجدهم الحضاري .

ويرجع ظهور الفكر الفلسفي في الأمة إلى مطلع القرن الثالث الهجري أيام خلافة المأمون والمعتصم والواثق ، الذين شجعوا ترجمة كتب الفلسفة اليونانية والهندية والفارسية ، وخصصوا لذلك جهودا وأموالا طائلة ، فأقحموا على الأمة شرا وبلاء حتى قال ابن تيمية : «ما أظن أن الله يغفل عن المأمون ولا بد أن يقابله على ما اعتمده مع هذه الأمة من إدخال هذه العلوم الفلسفية بين أهلها» [١] .

فقد بعث المأمون إلى حاكم صقلية يطلب منه أن يرسل إليه مكتبة صقلية الشهيرة الغنية بكتب الفلسفة !! وتردد الحاكم في إرسالها وجمع القساوسة فاستشارهم في ذلك ، فأشار عليه المطران الأكبر بقوله : «أرسلها إليه ، فوالله ما دخلت هذه العلوم في أمة إلا أفسدتها» [٢] .

و اجتمع نصارى جزيرة قبرص في شأن شحن كتب اليونان في علوم الأوائل إلى بلاد المسلمين ، وتشاوروا و قرروا أن تشحن إليهم كتب المنطق والفلسفة والتنجيم ، فلم يكن بينها شيء ينفع المسلمين في علوم الكون والحياة ، بل ما يضرهم من فنون الجدل والسفسطة .

وأسس المأمون «بيت الحكمة» لترجمة كتب اليونان ، وكان يشرف على حركة

---

(١) انظر : الغيث المسجم في شرح لامية العجم، الصفدي : ١ / ٧٩.

(٢) الرد على المنطقيين لشيخ الإسلام ابن تيمية : ٧.

الترجمة طائفة من النصارى ، كحنين بن إسحاق ، ويوحنا بن ماسويه ، ويوحنا بن يختشوع ، إذ قل من كان يعاني ذلك من المسلمين .

وكان عمر رضي الله عنه قد سد هذا الباب من الفتنة في الدين على المسلمين لما فتحوا بلاد فارس ، قال ابن خلدون : «ولما فتحت أرض فارس ووجدوا فيها كتبا كثيرة ، كتب سعد بن أبى وقاص إلى عمر ليستأذنه فى شأنها ونقلها للمسلمين ، فكتب إليه عمر : أن اطرحوها فى الماء ، فإن يكن فيها هدى فقد هدانا الله بأهدى منه ، وإن يكن ضلالا ، فقد كفانا الله إياها ، فطرحوها فى الماء أو فى النار» [(١)] .

فباء المأمون بإثم هذا البلاء الذي أحدث فتنة وبلبلة في العقول ، حيث فعلت الفلسفة وعلوم اليونان في عقائد المتكلمين فعل النار في حصاد الهشيم ، حيث روج فلاسفة العرب كالفارابي ، وابن سينا ، ونصير الدين الطوسي ، أفكارا وسموما دخيلة على الأمة باسم علم الكلام ، صاروا يضاهون بها الوحي ، ويحلون مقالات الفلاسفة وآراء معلمهم الأول «أرسطو» القائل بقدم العالم ، محل دلائل القرآن والسنة .

وقد انخدع بسفاهتهم أجيال من المستلبين فكريا قدسوا الفلسفة وصاروا يرونها أم العلوم ، ويقارنونها بالشريعة اطمئنانا إلى حال هؤلاء الفلاسفة المحسوبين على الإسلام ظاهرا ، وهم أعرق الناس في الزيغ والزندقة والإلحاد .

قال ابن القيم : «وكان ابن سينا كما أخبرنا عن نفسه وقال : أنا وأبي من أهل دعوة الحاكم [(٢)] ، فقد كان من القرامطة الباطنية الذين لا يؤمنون بمبدأ ولا معاد ،

---

(١) العبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون ١/ ٦٢٩.

(٢) هو الحاكم منصور بن عبد العزيز بالله نزار بن المعز بالله، لقب نفسه «الحاكم بأمر الله» ولقبه السيوطي الحاكم بأمر إبليس، من العبيديين الروافض المسمون بالفاطميين زوروا بهتانا حكموا مصر، فسفكوا دماء. العلماء وادعى بعضهم الألوهية وأباحوا المحرمات، وأفسدوا عقائد المسلمين

لا رب خالق ، ولا رسول مبعوث جاء من عند الله ، وكان هؤلاء زنادقة ، يتسترون بالرفض ، ويبطنون المحض ، وينتسبون إلى أهل بيت رسول الله ﷺ ، وأهل بيته برآء منهم نسبا ودينا» [1] .

وقد كان كثير من هؤلاء شرا وبلاء على الأمة وعونا لأعدائها عليها ، كأبي حيان التوحيدي من إخوان الصفا ، والحلاج الذي كان من أعوان القرامطة ، وقد مهد لهم الطريق إلى إنكار الشرائع ، فكان أيام غارة القرامطة على الكعبة ينشد كفرياته في إسقاط الشرائع ويقول :

يا لا ئمي لا تلمني في هواه فلو ... عاينتَ الذي عاينتُ منه لم تلم
يطوف بالبيت قوم لو بجارحةٍ ... بالله طافوا فأغناهم عن الحَرَم
ضحى الحبيب بنفسي يوم عيدهم ... والناس ضحوا بمثل الشاء والنعم
للناس حج ولي حج إلى سكني تهدى ... الأضاحي وأهدي مهجتي ودمي

وابن عربي الحاتمي الطائي الصفي المخلص لجماعة الحشاشين الذين استنقذوه من السجن ، والسهروردي الذي أشاع الزندقة أيام غزو الصليبيين للمسلمين .

ثم نصير الدين الطوسي الذي يعتبره زعماء اليسار ودعاة الحداثة أحد رجال فكر التنوير في الإسلام ، وسبحان الله فإن الذباب على أشكاله يقع ، فهو من زعماء الزندقة والخيانة لهذه الأمة ، والعمالة للتتار ، كما يعرف عنهم اليوم في خيانة الأوطان .

قال ابن القيم : « ولما انتهت النوبة إلى نصير الشرك والكفر الملحد ، وزير الملاحدة ، النصير الطوسي وزير هولاكو ، شفى نفسه من اتباع الرسول وأهل دينه

بالشام وعنهم انبثقت النصيرية والدرزية، والحاكم هذا هو الذي تعبده الإسماعيلية بالهند والدروز بلبنان . النجوم الزاهرة ٤/ ٧٥، ٣٧٦.

(١) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ٢/ ٢٦٦ .

فقتل الخليفة والقضاة والفقهاء والمحدثين ، واستبقى الفلاسفة والمنجمين والطبائعيين والسحرة ، ونقل أوقاف المدارس والمساجد الربط إليهم ، وجعلهم خاصته وأولياءه ، ونصر في كتبه قدم العالم وبطلان المعاد ، وإنكار صفات الرب جل وعلى أنه لا داخل العالم ولا خارجه ، وليس فوق العرش إله يعبد البتة واتخذ للملاحدة مدارس ، ورام جعل إشارات إمام الملحدين ابن سينا مكان القرآن ، فلم يقدر على ذلك ، فقال هي قرآن الخواص وذلك قرآن العوام ، ورام تغيير الصلاة وجعلها صلاتين ، فلم يتم له الأمر ، وتعلم السحر في آخر الأمر ، فكان ساحرا يعبد الأصنام» [(١)] .

ثم قال في موضع آخر : «والفلسفة التي يقرأها أتباع هؤلاء اليوم ، هي مأخوذة عنه وعن إمامه ابن سينا ، وبعضها عن أبي نصر الفارابي ، وشيء يسير منها من كلام أرسطو ، وهو مع قلته وغثاثته ، وركاكة ألفاظه ، كثير التطويل لا فائدة فيه ، وخيار ما عند هؤلاء ، فالذي عند مشركي العربي من كفار قريش أهون منه» [(٢)] .

وقد انشغل المسلمون بهذه المناهج العقيمة ردحا من الزمن ، واغتر بها حتى بعض الفضلاء من علماء الأمة ، فألهتهم عن المسار العلمي والبناء الحضاري مدة غير يسيرة ، خرجوا بعدها بخفي حنين . كما قال الإمام الأوزعي : «إذا أراد الله بقوم شرا فتح عليهم الجدل ومنعهم العمل» [(٣)] .

وقد اكتوى بجرائر تلك النتائج السيئة والرزايا الفكرية لهذه المرحلة كثير من علماء الكلام كأبي المعالي عبد الملك الجويني إمام الحرمين ٤٧٨هـ الذي انتهت إليه رئاسة الشافعية في القرن الخامس ، وكان من فحول المتكلمين والأصوليين .

---

(١) المصدر السابق ٢/ ٢٦٧.

(٢) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ٢/ ٢٦٥- ٢٦٦.

(٣) اعتقاد أهل السنة ، لأبي القاسم اللالكائي : ١/ ١٥٤. سير أعلام النبلاء : ٧/ ١٢١ .

فكان يقول قبل موته : « خليت أهل الإسلام بإسلامهم فيها وعلومهم الظاهرة ، وركبت البحر الخضم ، وغصت في الذي نهى أهل الإسلام عنه ، كل ذلك في طلب الحق وهربا من التقليد ، والآن قد رجعت إلى كلمة الحق ، عليكم بدين العجائز ، فإن لم يدركني الحق بلطفه وأموت على دين العجائز ويختم عاقبة أمري ثم الرحيل على الحق وكلمة الإخلاص لا إله إلا الله فالويل لابن الجويني» [(١)] .

وكذلك فخر الدين محمد بن عمر الرازي ٦٠٦ هـ أحد كبار المفسرين وفقهاء الشافعية وفحول المتكلمين الذين أنفقوا عمرا طويلا في دراسة طرائق الفلاسفة ، وقد ندم على ذلك في آخر عمره وقال :

نهاية إقدام العقول عقال ... وغاية سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشةمن جسومنا ... وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا
وكم قد رأينا من رجال ودولة ... فبادوا جميعا مسرعين وزالوا

ثم أردف قائلا : «لقد اخترت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فلم أجدها تروي غليلا ولا تشفي عليلا ، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن ، اقرأ في الإثبات : ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه:٢٠] ، وفي النفي : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١] ، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥]» [(٢)] .

وكفى بشهادات هؤلاء العلماء دليلا على فساد المناهج الفلسفية والطرق الكلامية وأثرها السيئ على الفكر الإسلامي والعلوم النقلية والعقلية . وقد سرى تأثيرها إلى قرون متأخرة حيث بثت في المسلمين أوهام التعارض بين الوحي والعقل ، وانفصلت بذلك العلوم الشرعية عن العلوم العقلية ، وسار كل منها في مسار خاص .

---

(١) سير أعلام النبلاء : ١٨/ ٤٧١ .وإغاثة اللهفان : ٢/ ٢٦٨ بعبارة أخرى .

(٢) تلبيس إبليس لابن الجوزي : ٨٥.

فابتعدت العلوم العقلية والطبيعية عن المنهج الإلهي في التحليل وتقرير المسائل ، بعد أن كانت من قبل سائرة في ركاب علماء الشريعة الذين لهم اختصاصات شتى في هذه العلوم ، فأصبح الأطباء والفلكيون والفزيائيون والرياضيون والمهندسون والمناطقة وغيرهم في واد ، كثير منهم لم يسلموا من مس الفلسفة وأثارة الزيغ والإلحاد ، وعلماء الشريعة في واد آخر ، قال المعري :

قال الطبيب والمنجم كلاهما ... لا تحشر الأجساد قلت إليكما

إن صح قولكما فما خسرت ... وإن صح قولي فالخسار عليكما

فأبو بكر الرازي ٣٢٠هـ الطبيب الكميائي ، وأحمد بن محمد بن مسكويه ٤٢١هـ الفيلسوف الطبيب المؤرخ ، وأبو نصر الفرابي ٣٣٩هـ وابن معشر البستي ، وأبو الحسن الزنجاني ، وأبو أحمد المهرجاني ، من إخوان الصفا الذين ظهروا في البصرة في مطلع القرن الرابع . والحسن بن عبد الله بن سينا ٤٢٨ الفيلسوف المشهور . ونصر الدين ابن الهيثم البصري ٤٣٠ أحد كبار علماء البصريات والحساب ، والهندسة ، كلهم ساروا في ركاب فلاسفة اليونان وجارو مقالاتهم في مجال الإلهيات .

فقد خرج كثير منهم إلى القول بقدم العالم ، وتقديس مقولات أرسطو وفلاسفة اليونان في نظرياتهم السخيفة في الخلق والنشوء والتطور .

و لو أنهم اقتصروا على مايحسنون وما تخصصوا فيه من العلوم الكونية والعقلية لسلم أمرهم ، ومشى حالهم ، لكن المناهج الفلسفية كانت وباء تلك العصور وما بعدها ، فما سلم منها إلا من لزم السنة وعلم الشريعة الذي يعصم العقول من الزلل والضلال .

وبذلك أفضت نظريات الفلاسفة إلى تعطيل مفهوم التوحيد في مناهج العلوم العقلية والطبيعية ، وتدنيسها بلوثة الفكر الجاهلي الفلسفي الدخيل على الأمة ، مما

حدى بعلماء المسلمين إلى الإفتاء بتحريم الاشتغال بالفلسفة وعلم المنطق ، كابن الصلاح ، والذهبي ، وابن تيمية .

قال ابن الصلاح : «الفلسفة أسس السفة والانحلال ، ومادة الحيرة والضلال ، ومثار الزيغ والزندقة ، ومن تفلسف عميت بصيرته عن محاسن الشريعة المطهرة ، المؤيدة بالحجج الظاهرة والبراهين الباهرة . ومن تلبس بها تعليما وتعلما قارنه الخذلان ، واستحود عليه الشيطان . وأما المنطق فهو مدخل الفلسفة ، ومدخل الشر شر ، وليس الاشتغال بتعليمه وتعلمه مما أباحه الشارع ، وما استباحه أحد من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين والسلف الصالحين ، وسائر من يقتدى به من أعلام الأمة» [١] .

وقال الذهبي : «والحكمة الفلسفية الإلهية ما ينظر فيها من يرجى فلاحه ، ولا يركن إلى اعتقادها من يلوح نجاحه ، فإن هذا العلم في شق ، وما جاءت به الرسل في شق ، ولكن ضلال من لم يدر ما جاءت به الرسل كما ينبغي بالحكمة شر ممن يدري . وما دواء هذه العلوم وعلمائها والعاملين بها علماء وعقدًا إلا الحريق والإعدام ، إذ الدين مازال كاملا حتى عربت هذه الكتب ونظر فيها المسلمون ، فلو أعدمت كان فتحا مبينا» [٢] .

ومعلوم أن الفلسفة المذمومة هنا هي «فلسفة الإلهيات» التي أفضى بحث فلاسفة الإسلام فيها إلى كفريات مناقضة للعقيدة الإسلامية ، كنفي علم الله بالجزئيات ، وإنكار بعث الأجساد ، وتقرير نظرية الفيض ونحو ذلك ، أما فلسفة المعرفة ، وفلسفة الجمال ، والمنطق الرياضي الذي هو من أسس العلوم التجريبية ، فلم يرد عن أحد من العلماء ذم الاشتغال بهذه المباحث والعلوم .

---

(١) فتاوى ابن الصلاح ضمن «الرسائل المنيرية» ص ٣٤ ، «تلبيس إبليس» ٢١١.

(٢) زغل العلم والطلب، للذهبي : ٤٤.

وأما المنطق ، فالمراد به المنطق الأرسطي ، وهو كلحم جمل غث ، على جبل وعر ، لاسهل فيرتقى ، ولا سمين فينتقى . مقدماته عقيمة ، ومباحثه ونتائجه : ﴿كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ [النور:٣٩] .

قال الذهبي : «والمنطق نفعه قليل ، وضرره وبيل ، وما هو من علوم الإسلام ، والحق منه فكامن في النفوس الزكية ، بعبارات غريبة ، والباطل فاهرب منه فهي عبارات دهَّاشة ، ومقدمات دكَّاكة نسأل الله السلامة ، فإن قرأته للفرجة لا للحجة ، وللدنيا لا للآخرة ، فقد عذبت الحيوان ، وضيعت الزمان ، والله المستعان . وأما الثواب فأيِّسْ منه ولا تأمن من العقاب إلا بمثاب» [(١)] .

وقد صنف ابن تيمية كتابا في الرد على منطق اليونان أسماه «نصيحة أهل الإيمان في الرد على منطق اليونان» ، ورد فيه على الغزالي الذي اعتبر المنطق مقدمة من لم يتقنها لا يوثق بعلومه ، مُظهرا به عوار هذه الرقاعات التي أغنى الله عنها علوم الإسلام . ويُضاف إليها كتب متحذلقة فلاسفة المتصوفة ، الذين شغلوا العباد بطلاسم وألغاز وأحاجي تضر ولاتنفع .

قال ابن خلدون : « أما حكم هذه الكتب المتضمنة لتلك العقائد المضلّة ، وما يوجد من نسخها بأيدي الناس ، مثل الفصوص والفتوحات لابن عربي ، و«البُدّ» لابن سبعين ، و«خلع النعلين» لابن قسي ، و«عقد اليقين» لابن بَرَّجان ، وما أجدر الكثير من شعر ابن الفارض ، والعفيف التلمساني ، وأمثالهما ، أن تُلحق بهذه الكتب ، وكذا شرح ابن الفرغاني للقصيدة التائية من نظم ابن الفارض ، فالحكم في هذه الكتب كلها وأمثالها ، إذهاب أعيانها متى وجدت التحريق بالنار والغسل بالماء ، حتى ينمحي أثر الكتابة ، لما في ذلك من المصلحة العامة في الدين» [(٢)] .

---

(١) زغل العلم والطلب، للذهبي : ٤٣.

(٢) العقد الثمين للفاسي : ٢-١٨٠.

وقد تولج الغزالي هذا المهيع وانتحل المنطق والفلسفة زمنا للرد على أصحابها ، فما كاد يسلم ، قال الذهبي : « وقد ألّف الرجل في ذمِّ الفلاسفةِ كتابَ «التهافت» ، وكَشَفَ عوارَهم ، ووافقهم في مواضعَ ظنًّا منه أن ذلك حقٌّ أو موافقٌ للملَّةِ ، ولم يكن له علمٌ بالآثار ، ولا خبرةٌ بالسنَّةِ النبويَّةِ القاضيةِ على العقلِ ، وحُبِّبَ إليه إدمانُ النظرِ في كتابِ «رسائل إخوان الصفا» ، وهو داءٌ عضالٌ ، وجَربٌ مردٍ ، وسمٌّ قتَّال ، ولولا أنَّ أبا حامد مِن كبار الأذكياء ، وخيار المخلصين لتلِف ، فالحذار الحذار مِن هذه الكتب ، واهربوا بدينكم من شُبَه الأوائل وإلا وقعتم في الحيرة» [1] .

*****

(١) سير أعلام النبلاء : ١٩ / ٣٢٨ .

المجال الثالث

التصوف وأثره على الفكر الإسلامي

كان الزهد في أول الإسلام دعوة إلى التقلل والكد في طلب العلم ، والجهاد في سبيل الله ، وعمارة الأرض ونشر الإسلام ، ولم يكن الصوفية يعرفون باسم ولا رسم بين الناس .

ثم استحال عند المتأخرين بعد ابن المبارك ، وإبراهيم بن أدهم ، والجنيد من صحو إلى سكر ، وهيام بالمخاريق والأحوال ، وتعطيل معاني العلم ، القعود عن الجهاد وعمارة الأرض ، فانتشر بذلك الجهل والبطالة والتواكل بين الصوفية الذين صارت تعج بهم الربط والخوانق والتكايا منذ مطلع القرن الثالث في مصر والشام والعراق .

معالم الانحراف في تاريخ التصوف :

كان الزهاد الأوائل لا يُعرفون باسم ولا يتميزون برسم ، ثم اشتغل قوم بهذا المسلك ، واعتزلوا السواد الأعظم في الأمة ، وتميزا برسم التصوف وعرفوا به ، وكان أول من بنى دويرية للصوفية بالبصرة عبد الواحد بن يزيد ، وقد اشتغل خلق منهم بالتفنن في إطالة الجوع والسهر ، وإذلال النفس في الأسواق ، ولبس المرقعات وتشمير الثياب ، والسياحة في الأرض ، وطلب الخلوات ، واعتزال مجالس العلم ، وترك الاشتغال بطلب الرزق والمعايش .

وقد وضع لهم الحكيم الترمذي ترتيبات في سلوك الطريق في كتابه «رياضة النفوس» حيث قال : «ينبغي للمبتدئ في هذا الأمر أن يصوم شهريين متتابعين توبة من الله ثم يفطر فيطعم اليسير ويأكل كسرة كسرة ، ويقطع عن نفسه الإدام والفواكه واللذة ، والنظر في الكتب ، ومجالسة الإخوان ، فإن تلك كلها أفراح النفس ، فيقطع

عن النفس أفراحها حتى تمتلئ غما» [١] .

وقال ابن تيمية : «هؤلاء يأمرون صاحب الخلوة ألا يزيد على الفرض لا قراءة ولا نظرا في حديث نبوي ، بل قد يأمرونه بالذكر ثم يقولون ما يقوله أبوحامد : ذكر العامة لا إله إلا الله ، وذكر الخاصة الله الله ، وذكر خاصة الخاصة هو هو» [٢] .

ومن ثم ظهر علم طبقات الناس عند الصوفية ، وقسموا الناس إلى عوام ، وخواص ، وخواص الخواص ، كما قسموا العالم إلى أقاليم صوفية سبعة ، يحكم كل إقليم غوث يكون له مطلق التدبير والتصرف فيه .

وقد خرجوا إلى أجناس من البدع والضلالات صاروا يرون أنفسهم فيها مستدركين على النبي ﷺ ، كلبس المرقعات والسياحة في الأرض ، والهيام والرقص عند السماع ، ونحوها من الدعاوى الكاذبة ، وإظهار المخاريق ، وادعاء رؤية الأنبياء والملائكة ويقظة لا مناما .

وقد وجد في عصور الإسلام من صنف لهم رسائل وتصانيف تطفح بالخرافة والكلام المرذول ، كأبي نصر السراج في اللمع ، والسهروردي ، وابن عربي صاحب الفصوص ، وعبد الكريم الجيلي ، في الإنسان الكامل .

ثم السيوطي الذي صنف رسائل تأصيل مذاهب القوم ، كرسالة «إتحاف الفرقة برفو الخرقة» ، في مشروعية لبس الخرقة الصوفية ، وأن إسنادها متصل بالنبي ﷺ ، بناء على حديث أبي محذورة الأعرابي المكذوب ، وفيه «أن أعرابيا أنشد النبي ﷺ شعرا قال فيه :

قد لسعت حية الهوى كبدي ... فلا طبيب لها ولا شافي

إلا الحبيب الذي شغفت به ... فمنه دائي ومنه ترياقي

---

(١) تلبيس إبليس لابن الجوزي : ٢١١.

(٢) «نظرات في التصوف» لعبد الرحمن الوكيل، مجلة الهدي النبوي، عدد ١١، س : ١٣٨٣ هـ.

فتواجد حتى سقطت البردة عن منكبيه فقال معاوية : ما أحسن لهوكم فقال : مهلا يا معاوية ليس بكريم من لم يتواجد عند ذكر الحبيب» [١] .

وعلى هذا الكذب المكشوف بنى الصوفية مشروعية الرقص والهيام عند السماع ، فقد روى أبو طاهر المقدسي في تشنيف الأسماع ، والسهروردي في عوارف المعارف عن أنس : «أنه عليه الصلاة والسلام أنشد بحضرته البيتان فتواجد بحضرة أصحابه الكرام وسقط رداءه عن منكبيه فلما فرغوا أوى كل واحد إلى مكانه ثم قال ﷺ ليس بكريم من لم يهتز للسماع ، ثم قسم رداءه على من من حضر أربعمائة قطعة» [٢] .

وزعم الصوفية أن عليا وضع قطعة منها في مرقعته ، فلبسها بعده الحسن البصري ، ثم تسلسل إسناد الخرقة الصوفية عنه إلى أبي العباس المرسي وأبي الحسن الشاذلي ، إلى صوفية زماننا .

قال ابن تيمية ~ : «ما اشتهر أن أبا محذورة أنشدهما بين يدي النبي ﷺ وأنه تواجد حتى وقعت البردة الشريفة عن كتفيه فتقاسمها فقراء الصفة وجعلوها رقعا في ثيابهم ، كذب باتفاق أهل العلم بالحديث ، وما روي في ذلك فموضوع » [٣] .

وقال في موضع آخر : «ويُعلم أن هذا السماع المحدث هو من جنس سماع المشركين وهو إليه أقرب منه إلى سماع المسلمين ، ومن غلط بعضهم توهمه أن النبي ﷺ والصحابة والتابعين حضروا هذا السماع سماع المكاء والتصدية والغناء

---

(١) كشف الخفا ومزيل الألباس : ٢/ ١٨٤ ، والمصنوع في الحديث الموضوع : للملا علي القاري : ١/ ٢٦٢، قال ابن تيمية : «فهذا موضوع كأن واضعه عمار بن اسحاق فان باقي إسناده ثقات هكذا قاله الذهبي وغيره فاعرفه، والحديث موضوع آفته عمار بن إسحاق عن سعيد بن عامر الضبعي، قال الذهبي : «كأنه واضع هذه الخرافة التي فيها قد لسعت حية الهوى كبدي فإن الباقين ثقات» ميزان الاعتدال : ٥/ ١٩٨.

(٢) انظر الحاوي للفتاوي ٢/ ٤٣٧ .

(٣) كشف الخفا ومزيل الألباس : ٢/ ١٨٤.

والتصفيق بالأكف ، وهذا الحديث كذب بإجماع العارفين بسيرة رسول الله ﷺ وسنته وأحواله» [١] .

وقال ابن حجر : «لم يرد في خبر صحيح ولا حسن ولا ضعيف : أن النبي ﷺ ألبس الخرقة على الصورة المتعارفة بين الصوفية أحداً من أصحابه ، ولا أمر أحداً من أصحابه يفعل ذلك ، وكل ما يروى من ذلك صريحا فهو باطل» .

وقال الشوكاني : «من المفترى أن عليا ألبس الخرقة الحسن البصري ، لأن أئمة الحديث لم يثبتوا للحسن من علي سماعا ، فضلا عن أن يلبسه الخرقة» [٢] . وقد حارب المتصوفة طلب العلم ، ودعوا الناس إلى الإقبال على الأذكار والخلوات ، والسياحة والجوع والسهر ، ولبس الخرق وقالوا :

إذا افتخر الناس علينا بعلم الورق تطاولنا عليهم بعلم الخرق [٣]

وروي عن عبد الله بن خفيف «أنه كان معاشرا للصوفية ، فكان إذا غدا إلى مجلس المحدثين لطلب الحديث يخبئ المحبرة والقلم في كمه ، فإذا رآه الصوفية خاصموه وقالوا : «والله لا تفلح» [٤] .

قال أبو حفص بن شاهين : «من الصوفية من رأى الاشتغال بالعلم بطالة ، وقالوا نحن علومنا بلا واسطة ، وما كان المتقدمون في التصوف إلا رؤوسا في القرآن والفقه والحديث والتفسير ، ولكن هؤلاء أحبوا البطالة» [٥] .

وكثير منهم اشتغل بالعلم سنين طويلة فلما تصوف أحرق كتبه ، ومنهم من

---

(١) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية : ٣ / ٤٦ .

(٢) الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني : ٢٥٣ .

(٣) انظر تلبيس إبليس : ٣٢١.

(٤) تلبيس إبليس : ٣٢٩.

(٥) تلبيس إبليس : ٣٢٣.

رماها في البحر خشية أن تحجبه عن الله كما زعموا . فشاع في المتأخرين منهم الجهل ، وكثر فيهم أهل الدجل والشعوذة والخرافة ، وواستشرى بينهم الدراويش الخاملون ، الذين عطلوا نعمة العقل ، وقتلوا في نفوس الناس روح العمل والإبداع .

ومن ثم تسرب الانحراف إلى أجيال هذه الطائفة ، لا سيما بعدما بعُد عهد المتأخرين منهم بمسالك السلف ، الذين قيدوا هذا المنحى بأصول الكتاب والسنة ، وكانوا لا يعدون فيه من السالكين من لم يكن ريان من علوم الشريعة ولم يتفيأ ظلالها . فغلب على القوم ما تسرب إلى التراث من آثار الفلسفة اليونانية ، ومذاهب الهند ونحل مجوس الفرس .

وظهرت فيهم الدعاوى الباطلة ، حين استبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير ، حتى قال سهل التستري : «إن لله عباداً في هذه البلدةِ لو دَعَوْا على الظالمين لم يُصبحْ على وجهِ الأرضِ ظالم إلا مات في ليلةٍ واحدةٍ ، حتى قال : ولو سألوه أن لا يقيم الساعة لم يقمْها » .

وعلَّق على ذلك الغزالي فقال : « وهذه أمورٌ ممكنةٌ في نفسِها ، فمَن لم يحظَ بشيءٍ منها ، فلا ينبغي أنْ يخلو عن التصديق ، والإيمان بإمكانها ، فإنَّ القدرةَ واسعةٌ ، والفضلَ عميمٌ ، وعجائبَ الملك والملكوت كثيرةٌ ، ومقدورات الله تعالى لا نهاية لها» [1] .

وبذلك ضُرب بين القوم وبين سنن الهداية بأسداد ، فكانوا أبعد عن السداد . وقد تعددت طوائف المتصوفة في العالم الإسلامي ، حتى كادت الطرائق أن تصبح بعدد الخلائق ، اختلفت أسماؤها واتحدت غاياتها .

التصوف الفلسفي ومظاهر الانحراف العقدي :

بعد انصرام عهد الفتوح الإسلامية ، واتصال المسلمين بحضارات الأمم

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالي : ٤/ ٣٠٥ .

الأخرى ، وظهور الترجمة ، غزت الفلسفة الإشراقية والغنوصية بلاد المسلمين ، وتأثر بها فلاسفة المتصوفة ، كأبي يزيد البسطامي والحلاج وابن عربي ، فظهر التصوف الفلسفي المنحرف ، وأولوا نصوص القرآن وفق تعاليم الباطنية ، وعبثوا بمعاني لغة العرب بما يمليه الهوى . وقد تجلى ذلك في دعاوى الحلاج ، وفصوص ابن عربي ، وفلسفة السهروردي وابن سبعين ، و نظرية تأليه الإنسان الكامل لعبد الكريم الجيلي .

وصاحب ذلك ظهور أعلام المتصوفة من أصحاب الدعاوى الكاذبة التي تنهد لها الجبال ، وتضج الأرض من جرأة أصحابها على الله . كإبراهيم الدسوقي الذي سبق بيان عظائمه التي ارتقى بها مسالك من التأله والتسافه والتحذلق على رب العالمين .

ثم أحمد البدوي ت ٦٧٥هـ الذي كان له نفوذ عند العامة وحكام المماليك وأتباع لا يحصون من المخدوعين بترهاته من العوام ، حتى كان يقول : «وعزة ربي سواقي تدور على البحر المحيط ، لو نفذ ما سواقي الدنيا ما نفذ ماء سواقيّ» [(١)] . وقد صارت له خلافة صوفية في مدينة طنطا بمصر ، يتوارثها أتباعه إلى اليوم .

وأصله من أهل فاس بالمغرب ، وسمي بالبدوي لتلثمه ، وقد سكن مكة ، وكانت له خلوة بجبل أبي قبيس ، ثم رحل إلى العراق لزيارة قبر الرفاعي والجيلاني ، ودخل مصر أيام الظاهر بيبرس ، فخرج لاستقباله هو وعسكره ، وأنزله في دار ضيافته ، واستقر بمدينة طندتا بمصر ، وأقام بدار بن شحيط شيخ البلد [(٢)] .

وقد اشتهر بلقب «جياب الأسير» : لما زعموا له من خوارق جرت على يديه

---

(١) نظر «طبقات الصوفية» الشعراني : ٢/ ٤٨.

(٢) شذرات الذهب لابن العماد ٥/ ٣٤٥ وطبقات الصوفية للشعراني ١/ ١٥٨ والنجوم الزاهرة ٧/ ٢٥٢.

أشهرها : «قصة المرأة التى أسر ولدها الإفرنج فجاءت إليه باكية فمد يده وهو جالس فوق السطح فأحضره في قيوده من الأسر» [١] . وقد كان الأولى به وهو صاحب هذا الدجل المكشوف أن يصد هجوم التتار والمغول عن المسلمين ، ويستنقذ المستضعفين منهم من القتل والأسر!!

وقد ظل البدوى عزبا لم يتزوج طوال حياته ، وبعد وفاة أبيه عرض عليه أخوه أن يزوجه فرفض قائلا : «يا أخى تأمرنى بالزواج وأنا موعود من ربى ألَّا أتزوج إلا من الحور العين الحسان » [٢] .

ومن غُلاتهم جلال الدين الرومي مؤسس الطريقة المولوية ، ولد في بلخ بفارس ثم رحل إلى بغداد ، ثم إلى قونية بتركيا ودرَّس العلوم بها ، ثم ترك التدريس والتصنيف وتصوف ، واشتغل بالرياضة وسماع الموسيقى ونظم الأشعار،إلى أن مات سنة٦٧٢هـ [٣] .

صنف كتاب «المثنوي» وهو منظومة فلسفية في ٢٦ ألف بيت بالفارسية ودعا فيه إلى احتقار العلم ، واعتبر العقل شيطانا ، وأمر أتباعه بإحراق الكتب ، وكان يقول : «أنا سرقة اللصوص ، أنا ألم العصا ، أنا السحاب وأنت الغيث ، أنا الذي أمطرت في المروج» [٤] .

ثم صار يهذي بفشار من كلام المجانين بوحدة الأديان ، حيث يقول :« انظر إلى زنار زرادشت حول خصري،أحملُ الزنار ، وأحمل المخلاة ، مسلمٌ أنا ، ولكني نصراني وبرهمي وزرادشتي ، توكلتُ عليك أيها الحق الأعلى ، ليس لي سوى معبدٍ

---

(١) نور الأبصار في مناقب آل النبي المختارللشبلنجي : ٢/ ٢٦٥ .

(٢) راجع : السيد البدوى ودولة الدراويش لمحمد فهمى عبد اللطيف .

(٣) انظر ترجمته في الأعلام خير الدين الزركلي : ٧/ ٣٠.

(٤) فِي التصوف الإسلامي وتاريخه، رينولد نيكلسون :١٥٢.

واحد ، مسجداً كان أو كنيسة أو بيت أصنام،ووجهك الكريم فيه غاية نعمتي ، فلا تَنْأ عني» [١] .

ومن سخافاته قوله على لسان قطبٍ يخاطب البسطامي : «إن الله هو ما تراه فيَّ بعين قلبك؛ لأنه اختارني بيتاً له ، فإذا رأيتَني فقد رأيته ، وطفْتَ حول الكعبة الحنفية ، وإذا عبدتَني فقد عبدتَه وسبَّحت له ، فلا تظنَّ أنني شيء غيره» [٢] .

وكان أبو الحسن الندوي يصنف كتاب المثنوي لجلال الدين الرومي ضمن «روائع نصوص الأدب الإسلامي» ، فاللهم لا شماتة وقد صار لكتاب المثنوي الطيران الحثيث عند أهل فارس وعمل فيهم عمل الإحياء في العرب المسلمين .

ومنهم ابن سبعين الأندلسي ٦٦٩ هـ ، الذي اشتغل بعلم الأوائل والفلسفة فتزندق ، وكان يلبس بالسيميا على الأغبياء من الأمراء والأغنياء ، قال ابن كثير : وجاور في بعض الأوقات بغار حراء يرتجي فيما ينقل عنه أن يأتيه فيه وحي كما أتى النبي ﷺ بناء على ما يعتقده من العقيدة الفاسدة من أن النبوة مكتسبة ، وأنها فيض يفيض على العقل إذا صفا ، فما حصل له إلا الخزي في الدنيا والآخرة إن كان مات على ذلك ، وقد كان إذا رأى الطائفين حول البيت يقول عنهم : كأنهم الحمير حول المدار ، وأنهم لو طافوا به كان أفضل من طوافهم بالبيت ، فالله يحكم فيه وفي أمثاله وقد نقلت عنه عظائم من الأقوال والأفعال » [٣] .

وقد كان له أتباع يسمون «الليسية» ذكرهم «ليس إلا الله» ، يقولون «نخشى أن نموت بين النفي والإثبات» [٤] .

---

(١) في التصوف الإسلامي وتاريخه :١٥٧ .

(٢) في التصوف الإسلامي وتاريخه :١٥٧ .

(٣) البداية والنهاية لابن كثير : ١٣/ ٢٦١ .

(٤) المصدر السابق : ١٣/ ٢٦١ .

وعفيف الدين التلمساني ت ٦٩٠ هـ : الشاعر المتفنن في علوم النحو والأدب والفقه والأصول قال ابن كثير : «وقد نسب هذا الرجل إلى عظائم في الأقوال والاعتقاد في الحلول والاتحاد والزندقة والكفر المحض» [١] .

قال محمود شكري الآلوسي ت ١٣٤٢هـ : «وأما هؤلاء الملاحدة فيزعمون ما كان يزعمه التلمساني منهم ، وهو أحذقهم في إلحادهم لما قرئ عليه «الفصوص» قيل له : «القرآن يخالف قولكم ، فقال : القرآن كله شرك ، وإنما التوحيد في كلامنا ، فقيل له : إذا كان الوجود واحداً فلم كانت الزوجة حلالاً والأخت حراماً ؟ قال : الكل عندنا حلال ، ولكن هؤلاء المحجوبون قالوا حرام ، فقلنا : حرام عليكم» [٢] . وإذا أحسن قال «القرآن يوصل إلى الجنة ، وكلامنا يوصل إلى الله» . وهؤلاء ممن قال فيهم الإمام الجنيد ~ : «نعم وصلوا ولكن إلى سقر» [٣] .

وقد صنف عفيف الدين التلمساني للنصيرية عقيدة ، وحقيقة أمرهم : «أن الله تعالى بمنزلة البحر ، والموجودات بمنزلة أمواجه» [٤] .

ومنهم كذلك الصوفي المتفلسف عبد الكريم الجيلي ت ٨٢٦هـ صاحب نظرية «الإنسان الكامل» ، القائل بوحدة الوجود ، حيث يقول :

فيا أحدي الذات في عين كثرة ... ويا موجد الأشياء ، ذاتك شائع

تجليت في الأشياء حين خلقتها ... فهاهي ميطت عنك فيها البراقع

فأنت الورى حقاً وأنت إمامنا ... وإنك ما يعلو وما هو واضع

وما الخلق في التمثال إلا كثلجة ... وأنت بها الماء الذي هو نابع

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير: ١٣/ ٣٢٦.

(٢) جهود علماء الحنفية في إبكال عقائد القبورية : ٣؟ ١٣٥٣ .

(٣) وهذا على سبيل الدعاء، لا على سبيل الإخبار عن المآل؛ لأن علم ذلك عند الله.

(٤) جهود علماء الحنفية في إبكال عقائد القبورية : ٣؟ ١٣٥٤ .

تجمعت الأضداد في واحد البها وفيه تلاشت فهو عنهن ساطع

وقد كان صاحب كُفريات صُلع ، ودعاوى عريضة في التصرف في الخلق وتدبير أمور الغيب وعوالم الخوارق حيث يقول :

وصلت إلى العرش ماجدي بحضرة فنادمني ربي حبيبا وناداني
نظرت لعرش الله واللوح نظرة وطافت بي الأملاك والرب أسقاني
ولو ألقيت سري بنهر دجلة لغارت وغاض الماء من سر برهاني
ولو أني ألقيت سري على لظى لأخمدت النيران من عظم سلطاني
ولو أنني ألقيت سري بميت لقام بإذن الله والله حياني

وما يزال لعبد الكريم الجيلي أتباع بالسودان ومصر إلى اليوم ينشدون هذا الكفر باسم التصوف الإسلامي ، والهيام بحب الله .

فهذا المكر الفكري الذي غزا أرض الإسلام كان أشد على المسلمين من غزو الصليبية النصرانية ونحل الضلال يومئذ على الأرض ، فالصليبية دخلت إلى بلاد المسلمين ومكثت مئتي سنة ، ثم خرجت مدحورة لم تنل من المسلمين شيئا ، وأما هذا الخبث والمكر فقد عشش في عقول بعض المسلمين أزمنة طويلة باسم الإسلام .

التصوف الفلسفي وتسويغ مساوئ العصور :

كان التصوف الفلسفي السياسي سببا في ظهور التأويل الباطني ، وتحريف أحكام الملة ، وانتشار التدين المغشوش ، وشيوع الجهل بين الأتباع وظهور الأدعياء ، وإسباغ مسوح التقديس على المشايخ وادعاء المخاريق السخيفة ، ورفعهم فوق مقام التكليف .

وذلك بناء على شبهة لبس بها عليهم إبليس مفادها أن «من نظر إلى الخلق بعين الشريعة مقتهم ، ومن نظر إليهم بعين الحقيقة عذرهم» ، فصار لزاما حسب هؤلاء المتحذلقين أن ينظر الناس إلى العصاة والظالمين ، والطغاة المستعمرين بعين الحقيقة

على أنهم قدر من الله ، فيجب أن يُعذروا ، ويتأول الناس سيئاتهم ، ويكفوا عن الاعتراض عليهم بعين الشريعة ، فشاعت بذلك المناكر باسم الدين ، والخيانة باسم الزهد والنسك ، وأصبحت المعاصي فلسفة في الصلاح ، وانقلبت الخيانة والعمالة للمستعمرين سياسة وجهادا ، وذبا للشر عن الأمة .

فقد شاع بين مريدي الملاماتية : «إذا رأيت شيخك على معصية من زنى أو غيره فإياك أن تعترض ، وقل لعل له علما لم يفتح الله علي به» . وعلى ذلك جرى مشايخ «الطريقة السمانية» في مصر والسودان ممن يبيحون الزنى للأولياء يقول الشيخ محمد نور الدائم : «صحب تلميذ شيخا فرآه قد زنا بأمرة فلم يتغير من خدمته ولا اختل في شيء من مرسومات شيخه ولا أظهر له نقصا في احترامه ، وقد عرف الشيخ أنه رآه فقال له : يا بني عرفت أنك رأيتني حين فسقت بتلك المرأة وكنت انتظر نفارك عني من أجل ذلك فقال التلميذ يا سيدي الإنسان معرض لمجاري أقدار الله عليه ، وإني من الوقت الذي دخلت لخدمتك ما دخلت علي أنك معصوم إنما خدمتك عارفا بطريقة الله ، فقال له الشيخ وُفقت وسعدت إلا فلا ، ثم قال الفرق بين معصية الولي والفاسق ، الولي يطيع الله علي المعصية كشفا وإلهاما ، والفاسق علي العكس ومن لم يطلعه الله علي معصية فهو فاسق» [(١)] .

وقد سار الشيخ عبد الوهاب الشعراني ت ٩٣٧هـ في كتابه «طبقات الصوفية» على هذا النهج ، و راح يسوغ سيئات مشايخه ، من العراة والزناة والسكارى ، ويذكر من كرامات أحدهم أنه كان يخطب على المنبر عاريا ، حيث يقول : «ومنهم الشيخ إبراهيم العريان ، كان يطلع المنبر ، ويخطبهم عرياناً ، فيقول : السلطان ، ودمياط ، وباب اللوق ، بين الصورين ، وجامع طولون ، الحمد لله رب العالمين ، فيحصل للناس بسط عظيم» [(٢)] .

---

(١) النصرة العلمية لأصحاب الطرق الصوفية ص٧٣-٧٤.

(٢) طبقات الصوفية للشعراني : ٢/ ١٢٩ .

وحكى النبهاني من كرامات دعي في عداد الأولياء أنه « كان يقع بالزانية لتتوب من الزنا» !! حيث نقل عن الشيخ نور الدين الشوني «أن شخصاً كان مكارياً يحمل النساء من بنات الخطأ وكان الناس يسبونه ويصفونه بالتعريض ، وكان من أولياء الله تعالى لا يركب امرأة من بنات الخطأ وتعود إلى الزنا أبداً» [(١)] .

وهذا الكلام السمج لا يحتاج إلى تعليق ؛ لأنه يصدر عن بلادة حس ، وعمى بصيرة باعتقاد ارتفاع أحكام التكاليف عن المشايخ ، وتسويغ المعاصي باسم التصوف ، وهو يدل على منتهى الإسفاف وضحالة الرأي عند هؤلاء الذين عميت بصائرهم عن محاسن الشريعة ، حين أعرضوا عن معين القرآن وهدي السنن وقدسوا كلام الرجال : ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الرعد:٣٣] .

وكان منهم قوم من أهل الألغاز ممن يغمغم ويجمجم ولا يكاد يبين ، شغلوا الناس بأحاجي ، وأردوهم في عقائد فرح بها الأعداء وطرب لها اليهود والنصارى المستعمرون فرحا بغفلة المسلمين ، وانصرافهم عن التدبير والجهاد لتحرير المقدسات .

وكان من هؤلاء «ابن عطاء الله السكندري» الذي خلط عملا صالحا وآخر سيئا ، وألهى المسلمين ببعض مغالقه وألغازه [(٢)] ، وقد صار طلاب العلم في المعاهد الإسلامية العريقة يضيعون نفائس الأوقات في قراءتها وفك ألغازها ، ومنها قوله :

---

(١) جامع كرامات الأولياء للنبهاني : ٢/ ٢٢٨ .

(٢) على أننا لا ننكر أن في كتابه «حكم ابن عطاء الله» كلاما حكيما ، ودررًا جميلة ، كقوله : «إنه لم يبق من الجهل شيئا من أراد أن يظهر في الوقت غير ما أظهره الله لكنها درر قليلة بين أصداف وغثاء كثير، فيه من القتل للنفوس، والدعوة إلى البطالة والخمول، وعقيدة الجبر . ما لا ينفع المسلمين في شيء كقوله : «سؤالك إياه اتهام له» فلا يخفى ما فيه من المخالفة لقوله تعالى : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠] .

«إرادتك التجريد مع إقامته إياك في الأسباب من الشهوة الخفية ، وإرادتك الأسباب مع إقامته إياك في التجريد انحطاط عن الهمة العلية» [١] .

وقد صنف كتابا يدعو فيه إلى القعود والتواكل والانقطاع عن كل الأسباب والعلائق سماه «التنوير في إسقاط التدبير» ومما قال فيه «أرح نفسك من التدبير ، فما قام به غيرك عنك لا تقم أنت لنفسك وقال : «إن التدبير والاختيار من أشد الذنوب والأوزار فإذا أردت أن يكون لك من الله اختيار فأسقط معه الاختيار وقال في موضع آخر : «اعلم أن التدبير مع الله ﷻ عند أولي البصائر إنما هو مخاصمة الربوبية» [٢] .

ومن عجيب تصرف الناشرين أن هذا الكتاب طُبع أيام كان المسلمون يستعدون في مصر لحرب إسرائيل ووزع بسعر رخيص ، وقال ناشره الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية وشيخ الأزهر سابقا الدكتور محمد عبد الرحمن البيصار : «والكتاب الذي تقدمه الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية ، «التنوير في إسقاط التدبير» هو واحد من كتب السادة الصوفية التي لها وزنها ، نسأل الله سبحانه أن ينفع به المسلمين ويوفقهم في الدنيا والأخرة» [٣] .

وقد كان التصوف الخرافي من أسباب دخول الاستعمار إلى البلاد الإسلامية ، وطمع الأعداء في المسلمين ، لما بث فيهم من روح التواكل والخمول ، والإيمان بعقيدة الجبر ، القاضية بأن تسلط الأعداء على الأمة محض قضاء من الله وقدر ، يرفعه حيث يشاء ، فماتت فيهم روح الجهاد .

قال ابن تيمية : «وكثيرا ما كنت أظن أن ظهور مثل هؤلاء أكبر أسباب ظهور

---

(١) إيقاظ الهمم بشرح الحكم ، لابن عجيبة : ٣٠ .

(٢) انظر «كتب ليست من الإسلام» الإستانبولي : ٧٧، ٧٨.

(٣) كتب ليست من الإسلام، الإستانبولي : ٧٧.

التتار ، واندراس شريعة الإسلام ، وأن هؤلاء مقدمة الدجال الأعور الكذاب الذي يزعم أنه هو الله» [١] .

ومع كل ذلك لم يزل فلاسفة المتصوفة عبر التاريخ يدعون أنهم أرباب التربية والجهاد ، وأنهم دعاة تجديد الدين ، وإحياء ما بالأمة من وهن ، وأنهم سادة الفقهاء والمحدثين ، وفرسان المجاهدين ، وأن كل من أراد أن يتحقق بالمعرفة وجب عليه الدخول في طريقهم ، وأنه ما من نفحة خير أو نصر حصل في تاريخ الأمة إلا كان بسببهم [٢] .

وعند التحقيق وجدنا القوم ومن انتسب إليهم أمة سخيفة من أهل المروق والجهل والهوى ، لم يكفهم ماجاء به هدي النبوة من فقه السلوك وتزكية الأنفس ، فالتمسوا ذلك في نحل المجوسية والمسيحية والفلسفة الهندية القديمة ، التي تدعو إلى تعذيب النفس ، واحتقار الجسد ، وإعدام العقل ، وتلقي المعارف عن طريق الذوق والكشف .

التصوف السياسي وفتنة الأتباع :

تلفعت الصوفية اليوم بجلد غير جلدها القديم ، وخرجت من قشر القعود والخمول ، كالأفعى الرقطاء ، لتخدع اليوم عالما من المسلمين ، وتزاحم حركات الصحوة الإسلامية المعاصرة ، فتلبست بالسياسة وركبت طرقا جديدة للتغلغل في العالم الإسلامي بين أهل الغفلة ، فتحول تصوفها القديم إلى «تصوف سياسي» يُغير على المواقع ويحشد الأتباع ، ويتغلغل في مواطن القرار والتأثير في الأمة [٣] .

وقد تولج هذا الميدان كثير من مرتزقة الصوفية كالطريقة الختمية في السودان

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية : ١/ ١٩٧ .

(٢) راجع المطرب في مشاهير أولياء المغرب، للتليدي : ١، والإحسان لعبد السلام ياسين : ٥٦ .

(٣) وقد فصلت ذلك في كتاب«التصوف السياسي وأثره على الصحوة الإسلامية».

والتيجانية في الجزائر إبان عهود الاستعمار وطرائق متصوفة الأرزاق بالمغرب ، والنقشبندية في تركيا والشام والهند ، وطريقة دار الأرقم للأشعري بماليزيا .

وكان غرضهم من كل ذلك استعباد الخلائق ، واستنزاف أموالهم وأرزاقهم ، والتقلب في بحبوحة العيش الذليل في ظلال المستعمرين ، ولو كان ذلك على حساب أمة الإسلام المنكوبة بكثرة الطرائق ، التي اختلفت الوانها وتبدلت سرابيلها من أجل عرض من الدنيا قليل .

فقد «سئل أحد زعماء النقشبندية عن سبب اختلاف هذه الطرائق في عمائمهم وأورادهم مع دعواهم أن الغرض من سلوك كل طريقة منها معرفة الله تعالى وعبادته فقال : تغيير الشكل لأجل الأكل» [1] .

ومن المعلوم الذي لاخفاء به أن طرائق هؤلاء لم يدعوا إلى سياسة أو مقاومة أو إصلاح في يوم من الأيام ، بل كانوا سبب البلاء الذي حل بديار المسلمين ، وكانت أكثر الزوايا عورات دخل منها الاستعمار إلى بلاد الإسلام ، بل لو لم يدخل المستعمرون لنابوا عنه في تخريب عقول المسلمين وضمائرهم ، وإركاسهم في مهاوي التخلف والهوان .

متصوفة الأرزاق وخذلان المسلمين :

وقد نشأ في القرون الأخيرة صنف من المتصوفة سموا متصوفة الأرزاق لأنهم جلسوا في مناخ البطالة ، واتخذوا طريق السلوك للغنى مغرما فما علمناهم يوما دعوا إلى نهضة أو صحو في الأمة ، وإنما عهدنا شيوخ القوم يدعون إلى السكر ، وإطراح العلم والاستغراق والفناء في أوراد وعبادات ما أنزل الله بها من سلطان .

فلقد داهمت الحروب الصليبية بلاد المسلمين في القرن الخامس وكانت ثغور الشام مليئة بزوايا المتصوفة القابعين في الربط والزوايا في بطالة الأوراد و السكر

---

(١) فتاوى الشيخ محمد رشيد رضا : ٦/ ٢٤١٨ .

بالمواجيد ، فما تحركت لأحدهم همة للجهاد في سبيل الله ، ولا حرك زعماؤهم ساكنا أمام جيوش الصليبيين .

و عاش رموز الصوفية كالسهروردي وابن عربي وابن الفارض إبان الحروب الصليبية فلم نسمع عن أحد منهم أنه شارك في صد عدوان النصارى عن المسلمين ، أو دعا إليه ، و لا سجل ذلك في شعر منظوم أو كلام منثور و لو بمجرد التفجع و الحسرة على الفواجع التي حلت بالأمة ، بينما كان عوام المسلمين الذين لم يدعوا تصوفا ولا تزلفا لأبواب القربى يهتزون لتلك الأحداث الأليمة ، ويهبون للنفير العام مع الأمراء .

وقد ظل ذلك نفسا مسيطرا على أهل تلك العصور ، حتى ابتلي به بعض العلماء المخلصين ممن استهواهم هذا الطريق كالغزالي ، الذي ظل يومئذ عاكفا في صومعته بالجامع الأموي يتحدث عن السكر والصحو والمحو ويقرر في إحياء علوم الدين أن الجمادات تخاطب الأولياء ، وأن فلانا قام ليلة كاملة على رأسه ؛ لأن نفسه نازعته في قيام الليل ، وسقط بيت المقدس في يد الصليبيين عام ٤٩٢ هـ ، والغزالي يومئذ على قيد الحياة ، فما كتب سطرا ولا حرك همة مسلم ليذوذ عن مقدسات الإسلام .

يقول الدكتور زكي مبارك : «بينما كان بطرس الناسك يقضي ليله ونهاره في إعداد الخطب وتجييد الرسائل يحث أهل أوربا فيها على احتلال أقطار المسلمين كان الغزالي حجة الإسلام غارقا في خلوته منكبا على أوراده المبتدعة ، لا يعرف ما يجب عليه من الدعوة إلى الجهاد» [١] .

ونشأ من بين متصوفة الأرزاق مشايخ يُشار إليهم بالبنان ، ملؤوا سمع الزمان بشقاشقهم الفكرية والفلسفية ، عُرفوا بخيانة الأمة وخذلانها في مواقف الحق ، بل كان منهم من مالأ أعداء الإسلام وشق عصا الطاعة وانقلب ثائرا ضد وحدة

(١) التصوف في الإسلام عمر فروخ : ١٠٩.

المسلمين . وتاريخ المتصوفة في الأندلس وأيام حكم المماليك يموج بنماذج من هذا الصنف .

ومنهم ابن قسي الأندلسي أحمد بن الحسين صاحب «خلع النعلين في الوصول إلى حضرة الجمعين» أحد أعلام التصوف ، كان لكتابه هذا الطيران الحثيث في الحكم والإشارات ، وقد أكثر ابن عربي النقل عنه «الفتوحات المكية» وشرحه . وقد كان من خيانته أنه ثار زمن المرابطين سنة ٥٣٧هـ على أمير المؤمنين تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين ، وحاول محالفة النصارى ، إلى أن ظفر به الخليفة عبد المؤمن بن علي زمن الموحدين ثم عفا عنه ، ولم ينشب أن قتله الناس لخيانته سنة ٥٤٦هـ [١] .

قال عبد الواحد المراكشي : «كان أول أمره يدعي الولاية ، وكان ذا حيل وشعبذة ومعرفة بالبلاغة ، ثم قام بحصن مارتلة ، ودعا إلى بيعته ، ثم اختلف عليه أصحابه ، ودسوا عليه من أخرجه من الحصن بحيلة حتى أسلموه إلى أحد الموحدين ، فأتوا به عبد المؤمن ، فقال له : بلغني أنك دعيت إلى الهداية . فكان من جوابه أن قال : أليس الفجر فجرين : كاذب وصادق؟ قال : بلى . قال : فأنا كنت الفجر الكاذب . فضحك عبد المؤمن ثم عفا عنه . ولم يزل بحضرة عبد المؤمن حتى قتل» [٢] .

قال الذهبي : «كان سيء الاعتقاد ، فلسفي التصوف ، له في «خلع النعلين» أوابد ومصائب» [٣] ، وقال ابن حجر : «أحمد بن قسي الأندلسي : مصنف كتاب «خلع النعلين» فلسفي التصوف مبتدع أراد الثورة فظفر به عبد المؤمن وسجنه» [٤] .

---

(١) انظر ترجمته في : المعجب في تاريخ المغرب للمراكشي : ٣٠٩.، سير أعلام النبلاء : ٢٠ / ٣١٦ تاريخ الإسلام للذهبي : ٨/ ٤٠٩ ، لسان الميزان ١ : ٢٤٧ كشف الظنون : ٧٢٢.

(٢) المعجب في تاريخ المغرب للمراكشي : ٣٠٩ ، تاريخ الإسلام للذهبي : ٨ / ٤٠٩.

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي : ٨/ ٤٠٩.

(٤) لسان الميزان لابن حجر : ١ / ١٠٢.

وقد استمر هوان القوم وخذلانهم للمسلمين إلى زماننا اليوم ، بل إن المستعمرين من طريقهم دخلوا ، وبمعيتهم وخيانتهم وصلوا .

فقد مكنت الطريقة الختمية بزعامة محمد الختم الميرغني في السودان للإنجليز ، وتواطأت معهم ضد المجاهدين . إذ لما اندلعت الثورة المهدية ضد الإنجليز عارضها شيوخ الختمية ، لا لاستقامة أصحابها ؛ لأن الكل كان على دين الخرافة ، ولكن لمعارضتها للإنجليز ، فركب متصوفة الختمية مطايا الخيانة وموالاة المستعمر ، حيث هاجر محمد عثمان الثاني وابنه أحمد وعلي إلي مصر وبقي فيها طوال سنين الدولة المهدية . وهناك توطدت علاقتهم مع حكام بريطانيا . وبعد قضاء الإنجليز على دولة المهدي السوداني عادوا إلى السودان ، فاقام الشيخ أحمد في الختمية ، وآثر السيد علي الإقامة بجوار الإنجليز في محلة خوجلي في الخرطوم [١] .

كما أن تاريخ الاستعمار الفرنسي للجزائر شاهد على ذلك ، حيث يرى المتأمل فيه كيف تمالأت الطريقة التيجانية على خذلان المسلمين والتمكين للفرنسيين . فقد كان برادة التيجاني يسوغ ظلم المستعمرين وتسلطهم على رقاب العباد ، ويقول «إن الكفار والمجرمين والفجرة والظلمة ممثلون لأمر الله تعالى ليسوا بخارجين عن أمره» [٢] .

وقد صرح «بول أودينو» بعمالة وخيانة الطريقة التيجانية للمسلمين في شمال إفريقيا ، حيث قال : «خلال السنين الستين الأخيرة كانت التيجانية تقدم لنا العون ، ومنذ سنة ١٩١١م و نحن نستغل نفوذها القوي في جنوبي المغرب وموريتانيا والريف» [٣] .

---

(١) الطرق الصوفية د. زكريا بيومي : ١٠٩ .

(٢) جواهر المعاني لعلي برادة : ١/ ٢٢١ .

(٣) التجانية لعلي بن محمد آل دخيل الله : ٦٦ .

وقال المؤرخ روم لاندو : «و وثيقتنا الثانية . . إعلان بعث به خليفة التيجاني الذي تلقى رسالة المارشال «بوجو» إلى أتباعه بمناسبة الحرب بين فرنسا والأمير عبد الكريم سنة ١٩٢٥م يدعو فيه إخوانه إلى مؤازرة الدولة المسيحية ضد مواطنيهم من المسلمين» [١] .

وفي سنة ١٩٣١م قامت بعثة عسكرية فرنسية بزيارة عين ماضي المركز الرئيسي للطريقة التيجانية ، و هناك ألقى حسني سي أحمد بن طالب خطبة باسم الشيخ محمد الكبير قال فيها : «إن من الواجب علينا إعانة حبيبة قلوبنا فرنسا . . ولهذا فإني أقول : إن أجدادي قد أحسنوا صنعا في انضمامهم إلى فرنسا قبل أن تصل إلى بلادنا وقبل أن تحتل جيوشها الكريمة ديارنا ، ففي سنة ١٨٣٨م كان جدي سيدي محمد الصغير قد أظهر شجاعة نادرة في مقاومة أكبر عدو لفرنسا الأمير عبد القادر الجزائري ، و مع أن هذا العدو قد حاصر بلدتنا عين ماضي و شدد عليها الخناق ثمانية أشهر ، فإن هذا الحصار انتهى بتسليم فيه شرف لنا نحن المغلوبين . . وذلك أن جدي أبى وامتنع أن يرى وجها لأكبر عدو لفرنسا فلم يقابل الأمير عبد القادر» [٢] .

وقد كان للمريدة المسيحية «Orely-Bekard» عام ١٨٧٠م ، أثر بارز في ذلك حيث صارت من مريدات أحمد التيجاني فتزوجها ، وكانت تخدم مصالح المستعمرين مع شيخ الطريقة من خلال الزاوية .

وكان الكردينال لا فيجري الفرنسي ، هو الذي تولى عقد زواج أحمد التيجاني من مدام «أوريلي بيكار» التي ظلت تعتنق الكاثوليكية ، ولما توفي عنها عام ١٢٣٠هـ خلفه عليها وعلى السجادة التيجانية أخوه فصارت تسمى«زوجة السيدين» [٣] .

---

(١) تاريخ المغرب في القرن العشرين : لروم لاندو : ١٤٣.

(٢) التجانية لعلي بن محمد آل دخيل الله : ٦٦ .

(٣) مشتهى الخارف الجاني في رد زلقات التجاني الجاني ، محمد الخضر بن مايابا الشنقيطي : ٦١٦. وانظر تاريخ المغرب في القرن العشرين : لروم لاندو : ١٤٣ . مجلة الأزهر السنة ٢٩ : ١/ ٧.

وقد ألفت هذه السيدة الفرنسية كتابها «أميرة الرمال» وملأته بمثالب مسلمي الجزائر ومساوئ الزاوية التيجانية ، وقد أنعمت عليها فرنسا بوسام الشرف لما قدمته من خدمات ، وقالت عنها في براءة التوجيه « إن هذه السيدة قد أدارت الزاوية التجانية إدارة حسنة كما تحب فرنسا وترضى ، وساقت إلينا جنوداً مجندة من أحباب هذه الطريقة ومريديها يجاهدون في سبيل فرنسا صفاً كأنهم بنيان مرصوص» (١) .

ولك أن تعجب من مدى الجهل والغباء الذي سيطر على هذه الأمة من الناس ، حيث كان أتباع الطريقة يتبركون بالتراب الذي تطؤه بقدميها ، لكونها زوجة صاحب الزمان ، مع أنها بقيت كاثوليكية على دينها القديم لم تسلم ، ولو أسلمت لم يغن عنها ذلك شيئا ، حتى يُتبرك بآثار أقدامها فإن ذلك لم يكن لأحد بعد النبي ﷺ .

ولأجل ذلك هاجم المجدد عبد الحميد بن باديس متصوفة الجزائر ، ورماهم بالتواطؤ مع المستعمرين ، «فكان يشن حربا على الاستعمار الفرنسي كعدو دخيل ، والطرق الصوفية كمرض مقيم ، تمكن من الجزائريين ، فجعل فيهم القابلية للاستعمار» (٢) .

كما كان للطريقة النقشبندية في بلاد الشام وتركيا أثر بالغ في نشر التدين المغشوش ، وبث روح الخمول والرضا بتسلط العلمانية على رقاب المسلمين بعد سقوط الخلافة العثمانية عام ١٩٢٨م .

وقد توجت عالم السياسة والخدمة الاجتماعية لإغراء العباد وصارت تملك بنية اقتصادية قوية ، وتقدم خدمات للفقراء ، فتقدم لهم وجبات الغذاء والعشاء بسعر زهيد ، وتقدم الشاي والقهوة مجانا للمصلين بالمساجد ، وتوفر للباحثين مكتبات ضخمة ، وتملك إقامات جامعية يستفيد منها آلاف الطلاب ، وعشرين مدرسة

(١) انظر تاريخ المغرب في القرن العشرين : لروم لاندو : ١٤٣ . مجلة الأزهر السنة ٢٩ : ١/ ٧.

(٢) التصوف إيجابياته وسلبياته لأحمد محمود محمود صبحي، مجلة عالم الفكر مجلد٦، العدد : ٢.

تتسع لآلاف التلاميذ من الحضانة إلى الثانوي ، وتملك قناتين للبث التلفزيوني ، وخمس مجلات وإذاعة ، مع دار نشر كبيرة ، و مصانع ومعامل» [١] .

وكذلك طريقة دار الأرقم لصاحبها «أشعري بن محمد الماليزي» الصوفي المارق الذي ادعى أنه لقي النبي ﷺ يقظة وأعطاه الأوراد المحمدية ، وقد أسس طريقته عام ١٩٦٨م وظل معارضا للحركة الإصلاحية لمحمد مهاتير ، وادعى بعض الخوارق كتأجيل آجال العباد في الموت وأنه المهدي المنتظر ، وقد أصدر مجلس الفتوى الوطني الماليزي عام ١٩٩٤م فتوى تنص على تحريم هذه الجماعة ومنع نشر تعاليمها [٢] .

وهي طريق تمتلك ما يساهم بنسبة هامة في الدخل الوطني ، وتقدم خدمات هائلة للفقراء والطلبة ، وتمتلك من وسائل النقل والمعامل والمصانع ودور النشر عددا هائلا . وعجيب ألا يتساءل أهل الغفلة عن الثمن والمقابل الذي ترجوه هذه الطرق والنحل من وراء ذلك!!

مع أن مؤسسات التبشير في أروبا وفي إفريقيا وآسيا تملك أكثر من ذلك ، وتقدم لأبناء المسلمين الضحايا أفضل من ذلك ، ولا هم لها من وراء ذلك إلا سلخ المسلمين عن دينهم .

ولا ندري بعد ذلك ماذا أغنت عن الأمة زوايا «متصوفة الأرزاق» المنتشرة اليوم في العالم الإسلامي ، في مصر والمغرب والشام والعراق ، وقد أطبقت كلمة علماء الأمة على أن أغلبها كان سببا في استشراء التخلف ودخول الاستعمار إلى بلاد المسلمين .

---

(١) انظر مقال الطريقة النقشبندية والانتقال من الصوفية القاعدة إلى الصوفية المجاهدة : جريدة «التجديد» عدد ٢٩ ، ٢٨ ربيع الثاني ١٤٢٠ هـ ، ١١ غشت ١٩٩٩م . ص ٧.

(٢) راجع الأفكار العقائدية لدار الأرقم في ماليزيا، سوحيليزا محمد حمداني.

ولم يسلم منها سوى ما كان من مدارس العلم وزوايا الجهاد والمرابطة على ثغور البلاد الإسلامية لإعلاء كلمة الله . وممن كان على هذا النهج كثير من علماء المالكية كالشيخ زروق المالكي محتسب الصوفية وصاحب «عدة المريد» ممن ظهرت آثارهم في حماية الدين والذب عن الملة ، وخلفوا للأمة تراثا علميا زاخرا .

ثم رحالة المغرب أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي المالكي ١٠٩٠هـ مسند عصره صاحب رحلة «ماء الموائد» ، وألف إظهار المنة على المبشرين بالجنة ، و تحفة الأخلاء بأسانيد الأجلاء ، وتنبيه ذوي الهمم العالية على الزهد في الدنيا الفانية،و اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر [١] .

قال الإفراني : « أحد من أحيا الله بهم طريق الرواية بعد أن كانت شمسها على أطراف النخيل ، وجدد من فنون الأثر كل رسم محيل» [٢] ، ولحفيده محمد بن حمزة بن أبي سالم زاوية علمية تقع بسفح جبل العياشي ، خلف بها تراثا علميا زاخرا ، و نشأ بربوعها مجاهدون صدوا المستعمرين الفرنسيين عن جبال الأطلس زمنا ، فلم يستقر بهم حال بتلك الديار .

ومن هذا النمط «الزاوية السنوسية» التي كانت مدرسة للعلم ومعقلا للمرابطين تخرج منها علماء مجاهدون من أهل السنة قاوموا الاستعمار الإيطالي في ليبيا ، كالشيخ أحمد السنوسي والمجاهد عمر المختار ~ ، الذي دحر الاستعمار الصليبي في طرابلس ، وفل من غربه ، وظل مجاهد على صهوة جواده إلى أن استشهد ~ ، وهو يقول : «نحن لن نستسلم ، ننتصر أو نموت» وظلت كلمة باقية في عقبه وأتباعه إلى اليوم .

وقد ترك آثارا ظاهرة في أجيال شباب ليبيا من حفظة القرآن ، وحملة ألوية

---

(١) فهرس الفهارس والأثبات ٢ / ٢١١ وصفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر ١٩١.

(٢) صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر : ١٩١.

الدعوة والجهاد في سبيل الله ضد الاستعمار والاستبداد السياسي ، ممن ثاروا في وجه «طاغية طرابلس» ، ونيرون القومية العربية ، وحرروا هذا الشعب الأبي من نير الذل والهوان .

وكذلك «الزاوية الناصرية» في المغرب التي كانت مدرسة علم وحديث ورباط جهاد في سبيل الله ، تخرج منها علماء كبار اشتغلوا بالحديث ، و حاربوا البدع ، وقاوموا أسباب التخلف في الأمة واتبعوا سنن السلف ، ومسلك الإمام الجنيد في علم السلوك ، فنفع الله بهم أجيال الصحوة بالمغرب .

منهم العلامة محمد بن ناصر الدرعي ت ١٠٨٥هـ الذي أثنى عليه تلميذه أبو علي اليوسي فقال : « وكان مشاركا في فنون العلم كالفقه والعربية والكلام والتفسير والحديث والتصوف ، وكان مع انكبابه على علوم القوم وانتهاجه منهج الطريقة لا يخل بالعلم الظاهر تدريسا وتأليفا وتقييدا وضبطا»[١] .

وكان صلب الديانة لم يُعرف أنه خطب لملك قط فوقع بذلك بينه وبين المولى الرشيد العلوي شأن فبعث إليه كتابا أبلغ فيه من التهديد والتقريع وأمره بالمثول بين يديه ، فلما فض الشيخ الكتاب وقرأه كتب في أسفله : «فاقض ما أنت قاض ، إنما تقضي هذه الحياة الدنيا» فلما بلغ الرشيد هذا الجواب قام وقعد وجهز كتيبة في الحال وسيرها إلى الزاوية للإيقاع بالشيخ وحزبه ، إلا أنه وبعد تدبر في ذلك الجواب أمر بعودة الكتيبة وقال : «والله ما يخرج هذا الخطاب من قلب فارغ ولا حاجة بنا إلى إذايته فإن شاء خطب ، وإن شاء ترك»[٢] .

وتبعه على ذلك ابنه المحدث أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي ، ت١١٢٩هـ .

---

(١) دليل مخطوطات دار الكتب الناصرية ص ٢٢.

(٢) الدرر المرصعة بأخبار أعيان درعة : ٨١ ، نقلا عن طلعة المشتري في النسب الجعفري لأحمد الناصري.

الذي كان إمام أهل زمانه علما وعملا ، ظل مشتغلا بالحديث عاكفا على تدريس العلوم متبعا سنن أبيه في محاربة البدع ، والبعد عن السلطان ، وقد وقع بينه وبين المولى إسماعيل وحشة بسبب ذلك ، وقد أسس إيوانا ومدرسة لتدريس طلاب العلم [١] .

وقد كان مثلا في نشر العلم والجهاد في سبيل الله ، والدفاع عن السنة كما قال الإفراني : «كان ~ إمام وقته علماً وعملاً ، قوالا للحقّ ، شديد الشكيمة على أهل البدع . . متصاوناً مقبلا على ما يعينه ، متابعا للسّنَّة في أقواله وأفعاله» [٢] .

وظل مع تلاميذه حريصا على حماية المظلومين من تعسف الولاة ومكائدهم ، وإيواء أبناء السبيل وإطعامهم ، والتحريض على الجهاد والإصلاح بين القبائل المتناحرة يومئذ .

وقد سار على نهجهم العلامة خالد بن أحمد الناصري ١٣١٠ هـ أحد أعلام الفكر ونقاد الأثر صاحب «تعظيم المنة بنصرة السنة» ، الذي نخل فيه تراث التصوف ، وغربل ما داخله من الأهواء والبدع ، ورد علم السلوك فيه إلى نهج السنة ، وله وقفات مع المتنسكة بما لهم وما عليهم ، في تاريخه النفيس «الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى» .

وكذلك الأمير عبد القادر بن محيي الدين بن مصطفى الحسني الجزائري ت ١٣٠٠هـ ، مؤسس دولة الجزائر الحديثة ورائد المقاومة ضد الاستعمار الفرنسي بين . الذي ولد بالقيطنة بمدينة معسكر .

---

(١) محمد المكي الناصري «الدرر المرصعة بأخبار أعيان درعة» : ١٣٤ .

(٢) راجع ترجمته في صفوة من انتشر للإفراني :٣٦٤ وسلوة الأنفاس للكتاني :١/ ٢٩٨، والإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام للسملالي : ٢/ ٣٥٧، وشجرة النور الزكية(٣٣٢)، ومعلمة المغرب :٢٢/ ٧٣٧٩.

قد ترعرع في «الزاوية الشاذلية» في كنف والده المجاهد ، فحفظ القرآن ودرس علوم الإسلام ، والأدب ، الفلسفة ، التاريخ ، الرياضيات ، وعلم الفلك والطب ، وأجاد الفروسية ، ورحل إلى مصر ودمشق والحجاز ، وبغداد . وبايعه أهل وهران أميرا ، فقاد الجهاد ضد الفرنسيين خمسة عشر عاما ، بجيش من عشرة آلاف مقاتل وفل من غربهم في معارك كثيرة ، وأقام أحكام الشريعة ، وسار في الناس سيرة حسنة [1] .

وظل ~ مجاهدا إلى أن تخلى عن مناصرته سلطان المغرب عبد الرحمن بن هشام ، تحت تهديد الفرنسين ، فاضطر للاستسلام ، ونُفي إلى طولون ، ثم استقر بدمشق ، وتوفي بها ~ عام ١٨٨٣م .

وهؤلاء العلماء الزهاد كانوا على مسلك السلف ، غلب عليهم العلم والجهاد في سبيل الله ، ولم يكونوا من صنف المتنسكة القاعدين وإن نسبهم بعض المؤرخين إلى متصوفة الزوايا والتكايا .

أما طرائق «متصوفة الأرزاق» ، وفلاسفة المواجيد والأذواق فقد ظلوا في عصور التخلف أمة واحدة ، و ذرية بعضها من بعض تواصوا بالبطالة وخذلان الأمة في مواقف الحق ، بحيث لم تكتحل عيون المسلمين من جهتهم بخير يُذكر .

قد استحوذوا على القلوب والعقول باسم الزهد والنسك ، ليخرجوا الناس من جادة التوحيد إلى عبادة المشايخ ، بأعمال وزخارف من عرض الدنيا ظاهرها منفعة المسلمين ، وباطنها خراب الضمائر والقلوب . ثم تراهم يدعون بعد ذلك أنهم حماة الإسلام وحراس الملة والملتزمون بالكتاب والسنة وهم ينبذونها بالعراء .

قال ابن المؤقت المراكشي : «وبالجملة فالتصوف في عصرنا اليوم وفيما قبله قد أصبح زيه حبالة للدنيا ، وشباكه يُصاد بها قلوب من لا يعرفون من الدين إلا اسمه ،

---

(١) الأعلام لخير الدين الزركلي : ٥/ ٤٥ .

وما هو إلا اغترارات بأباطيل يختلقها هؤلاء القوم ، وتمسكات بخزعبلات يفتريها المدعون ، وأمر الصدق قد قلَّ حتى أندر من الكبريت الأحمر ، والنصح في الله لفساد الطوايا تعذر »[1] .

وبذلك غرس هذا الفكر المتخاذل في كثير من المسلمين روح الخمول والجهل والتقاعس عن العمل الراشد . فآل القوم إلى مناخ البطالة ، والقعود عن مسايرة الركب الحضاري ، في وقت كانت فيه أوروبا تقطع مفازات ، في التقدم العلمي والحضاري .

وإن الأمل معقود اليوم على حملة العلم ورواد الإصلاح من علماء السنة وشباب الصحوة الإسلامية ، الذين ينتظر أن يغير الله بهم ما بهذه الأمة من علل وأوجاع في الفكر والسلوك ، بنخل هذا التراث التليد ، والبناء على أمجاده حضارة رفعة لهذه الأمة ، كما بشر بذلك النبي ﷺ في حديث تميم الداري : «**ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل ، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين ، بعز عزيز يعز به الإسلام ، وبذل ذليل يذل به الكفر**» . ولله الأمر من قبل ومن بعد .

والحمد لله رب العالمين

أ . د : أبو جميل الحسن العلمي

جامعة ابن طفيل ، القنيطرة

(١) الرحلة المراكشية أو مرآة المساوئ الوقتية : ٢١٣.

فهرس المصادر والمراجع

١ـ أحكام القرآن لابن بكر بن العربي ، ط : دار الجبل ، لبنان : ١٩٨٨ م .

٢ـ إحياء علوم الدين ، للعزالي ، ط دار الكتاب العربي .

٣ـ إرشاد الفحول ، للشوكاني . ط مؤسسة الكتب الثقافية .

٤ـ إرشاد النقادإلى تيسير الاجتهاد،للصنعاني -الدار السلفية ١٤٠٥،الكويت .

٥ـ إرواء الغليل بتخريج أحاديث منار السبيل ، للألباني ، المكتب الإسلامي ، دمشق .

٦ـ أزهار الرياض في أخبار عياض ، للمقري ط وزارة الأوقاف – الرباط المغرب .

٧ـ أصل الشيعة وأصولها ، محمد آل كاشف الغطاء ، ط : التاسعة ، مكتبة العرفان .

٨ ـ أصول الكرخي بذيل تأسيس النظر ، للدبوسي ، ط : الأولى ، المطبعة الأدبية مصر .

٩ـ إعادة كتابة التاريخ الإسلامي في ضوء منهج الجرح والتعديل ، الحسن العلمي، رسالة دبلوم الدراسات العليا ، ١٩٨٩ م كلية الآداب . جامعة محمد الخامس الرباط .

١٠ـ إعلام الموقعين عن رب العالمين ، لابن القيم ، ط دار الجيل ، بيروت لبنان .

١١ـ إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، لابن القيم ، ط دار الفكر ، بيروت لبنان .

١٢ـ أقاويل الثقات في تأويل الآيات والأسماء والصفات ، مؤسسة الرسالة بيروت .

١٣ـ ألفية الحديث ، للسيوطي ، ط دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

١٤ـ إيقاظ همم أولي الأبصار في اتباع سنة النبي المختار ، لصالح الفلاني ، ط دار المعرفة ١٣٩٨

١٥ـ إيقاظ الهمم في شرح الحكم ، لابن عجيبة- ط . دار المعارف – القاهرة ١٩٨٣م .

١٦ـ اختلاف الحديث ، للشافعي ، ط دار الكتب العلمية ، لبنان ، ١٩٨٦ م .

١٧ـ الآثار الباقية عن القرون الخالية ، لمحمد بن أحمد البيروني ، ط : ليبسك ١٩٢٣ م .

١٨ ـ الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز الدباغ ، لأحمد بن مبارك- ط دار الكتب العلمية- لبنان .

١٩ـ الإجابة إلى ما استدركته عائشة على الصحابة للزركشي ، ط المكتب الإسلامي بيروت .

٢٠ـ الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ، لابن بلبان ، تحقيق كمال الحوت ، لبنان ١٩٨٧ .

٢١ـ الأحكام السلطانية ، للماوردي ، دار الفكر ، لبنان ، بدون تاريخ .

٢٢ـ الإحكام في أصول الأحكام ، لابن حزم ، ط دار الافاق بيروت ١٤٠٠هـ .

٢٣ـ الإصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر ، الطبعة الأولى دار الكتاب العربي بيروت .

٢٤ـ أطواق الذهب في المواعظ و الخطب لجار الله الزمخشري- ط دار الفضيلة

٢٥ـ الأعلام لخير الدين الزركلي ط: السابعة دار العلم للملايين ١٩٨٦ بيروت لبنان .

٢٦ـ الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، للسخاوي ، تحقيق لفي بروفانسال ، ط دار الفكر لبنان .

٢٧ـ الإمتاع و المؤانسة ،لأبي حيان التوحيدي ، ط . دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

٢٨ ـ الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف ، للدهلوي . ط دار النفائس بيروت لبنان .

٢٩ـ الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من التضليل والمجازفة ، للعلامة عبد الرحمن المعلمي اليماني ،ط الثانية ، المكتب الإسلامي ، بيروت ١٩٨٥م .

٣٠ـ الاتجاهات الوطنية في الأدب العربي الحديث ، لمحمد حسين ، مؤسسة الرسالة بيروت .

٣١ـ الاختلاف في اللفظ ، لابن قتيبة ، تحقيق محب الدين الخطيب ،

٣٢ـ الاستشراق والمستشرقون لمصطفى السباعي ، ط دار ابن حزم ، بيروت .

٣٣ـ الإسلام بين الدعوة والدولة ، للشيخ عبد السلام ياسين ، الطبعة الأولى، ١٩٧١م .

٣٤ـ الاعتصام ، للشاطبي ، مكتبة الرياض الحديثية ، السعودية .

٣٥ـ الاقتصاد في الاعتقاد ، للغزالي ، ط : دار الكتب العلمية بيروت .

٣٦ـ الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث ، للشيخ أحمد شاكر ، ط دار الفكر ، لبنان .

٣٧ـ البداية والنهاية ، لابن كثير ، تحقيق جماعة من العلماء ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٧ هـ .

٣٨ ـ التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية من الفرق الهالكين ، لأبي المظفر الإسفراييني ، تحقيق : كمال يوسف الحوت عالم الكتب- بيروت الطبعة الأولى ، ١٩٨٣

٣٩ـ التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية من فرق الهالكين ، لأبي المظفر الأسفرايني ، ط . دار الفكر .

٤٠ـ التحف في مذاهب السلف ، للإمام الشوكاني ، ط . دار الصحابة للتراث طنطا ، مصر .

٤١ـ التصوف المنشأ والمصادر ، إحسان إلهي ظهير .

٤٢ـ التعالم وأثره على الفكر والكتاب ، بكر أبو زيد ، دار الراية ، الرياض ١٩٩٢هـ .

٤٣ـ التفسير والمفسرون ، لمحمد حسين الذهبي ، دار الكتب الحديثية ١٩٧٦ م القاهرة .

٤٤ـ التنكيل بما في تأنيب الكوثرى من الأباطيل ، مكتبة المعارف الرياض ١٣٨٦هـ .

٤٥ـ تنوير المؤمنات ، للشيخ عبد السلام ياسين – الطبعة الأولى ، ١٩٩٦م .

٤٦ـ الجامع الصحيح ، للبخاري ، تحقيق يحيى الشماعي ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

٤٧ـ الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، ط دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٩٦٧ م .

٤٨ ـ الجرح والتعديل ،لابن أبي حاتم الرازي ، مصورة دار الكتب العلمية عن ط الأولى ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية حيدر أباد ، الهند ١٣٧٢ ١٩٥٢ م .

٤٩ـ الجرح والتعديل ، جمال الدين القاسمي .

٥٠ـ الحاوي للفتاوي ، للسيوطي ، المكتبة العصرية ، بيروت لبنان ، ١٤١١هـ .

٥١ـ الحاوي للفتاوي ، للسيوطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٥٢ـ الحجة على تارك المحجة لأبي الفتح المقدسي ، ت . عبد العزيز السدحان عالم الكتب ، ١٤٢٩هـ

٥٣ـ الذحيرة في محاسن أهل الجزيرة ، لابن بسام الشنتريني ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان .

٥٤ـ الرسائل السبكية في الرد على ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية لإمام تقي الدين السبكي

٥٥ـ الرسائل المنيرية ، نشر إدارة الطباعة المنيرية ، مصر ١٣٤٦ هـ .

٥٦ـ الرسالة ، للشافعي ، تحقيق أحمد شاكر ، ط دار الفكر ، لبنان .

٥٧ـ الرفع والتكميل في الجرح والتعديل ، للكنوي ، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب ١٤٠٧ هـ

٥٨ ـ الروض الباسم في الذب عن سنة أبي قاسم ، لابن الوزير ، المطبعة المنيرية مصر .

٥٩ـ السنن الكبرى للبيهقي ، ط : دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد الدكن ١٣٥٣ .

٦٠ـ السهام الصائبة لأصحاب الدعاوى الكاذبة ، ضمن شواهد الحق في

الإستغاثة بسيد الخلق للنبهاني ، ط : الثانية ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ١٣٧٤ م .

٦١ـ السيل الجرّار المتدفق على حدائق الأزهار ، للإمام الشوكاني – دار الكتب العلمية– لبنان .

٦٢ـ الصارم المنكي في الرد على ابن السبكي ، لابن عبد الهادي المقدسي ٧٤٤ هـ ، تحقيق أبو عبد الرحمن المقطري اليماني . ط : الأولى ، مؤسسة الريان لبنان ١٩٩٢م .

٦٣ـ العقلانيون أفراخ المعتزلة العصريون ، على بن حسن الأثري ، مكتبة الغرباء الأثرية المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣ هـ ١٩٩٣ م .

٦٤ـ الفتوحات المكية ، لابن عربي . ط مكتبة الثقافة الدينية ، لبنان ، د ت .

٦٥ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل ، لابن حزم ، ط دار الجيل ، لبنان ١٩٨٥م .

٦٦ـ الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي ، للثعالبي دار التراث ، القاهرة ١٣٩٦ .

٦٧ـ القواعد الفقهية لابن رجب الحنبلي ، دار الفكر العربي ، بيروت .

٦٨ ـ الكامل في التاريخ ، لابن الأثير دار الكتب العلمية ، لبنان . ١٩٨٧ م .

٦٩ـ الكبير ، عالم الكتب ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣ هـ . ١٩٨٣ م .

٧٠ـ الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، محمد شحرور ، ط : دار الأهالي للنشر ـ سوريا ١٩٩٥ م

٧١ـ المجددون في الإسلام عبد المتعالي الصعيدي ، المطبعة النموذجية ١٣٧٠هـ مصر .

٧٢ـ المستدرك على الصحيحين للحاكم ، دار الكتب العلمية ، لبنان ١٩٩٠ .

٧٣ـ المعيار المعرب في فتاوى أهل الأندلس والمغرب ، للونشريسي ط الأوقاف المغرب .

٧٤ـ المقامات الأدبية لأبي محمد الحريري ، دار الكتب العلمية – لبنان .

٧٥ـ الملا علي القاري أثره في علم الحديث ، لخليل إبراهيم قوتالي ، ط دار البشائر الإسلامية ١٩٨٧م

٧٦ـ الملل والنحل ، للشهرستاني ، ط دار الفكر للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان .

٧٧ـ الموافقات في أصول الشريعة للشاطبي ، تعليق محمد حسنين مخلوف ط دارالفكر .

٧٨ ـ الموقظة ، للذهبي ، دار المطبوعات الإسلامية بحلب ، الطبعة الثانية ١٤١٢ هـ .

٧٩ـ الميزان الكبرى للشعراني ، ط الأولى عالم الكتب ، لبنان ١٩٨٩ م .

٨٠ ـ الوشيعة إلى عقائد الشيعة ، لموسى جار الله الروسي ط : مكتبة الخانجي مصر .

٨١ـ اليوم وغدا ، لسلامة موسى ، المطبعة العصرية ، القاهرة ، ١٩٢٩م،

٨٢ـ بدائع الفوائد ، لابن قيم الجوزية ، ط الأولى دار الكتب العلمية ، لبنان ١٩٩٤م

٨٣ـ بلوغ الأماني في تاريخ الفقه الإسلامي ، الحسن العلمي ، ط طوب بريس– الرباط ١٤٢٩هـ .

٨٤ـ بنية العقل العربي لمحمد عابد الجابري ، المركز الثقافي العربي ، ١٩٨٦ م ، المغرب

٨٥ـ بيان تلبيس المفتري محمد زاهد الكوثري ، لأحمد بن الصديق ، دار الصميعي – الرياض ١٩٩٦م

٨٦ـ تأويل مختلف الحديث ، ابن قتيبة ، ط دار الكتب العلمية ، لبنان ١٩٨٥م .

٨٧ـ تاريخ الأمم والملوك ، للطبري ، تحقيق محمد أبو الفضل ، دار المعارف مصر .

٨٨ ـ تاريخ المذاهب الإسلامية ، لأبي زهرة ، ط دار الفكر العربي ، مصر القاهرة .

٨٩ـ تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي ، ط الأولى ، القاهرة ١٣٤٩ هـ ، ١٩٣١م .

٩٠. تبين كذب المفتري على أبي الحسن الأشعري ، لابن عساكر- دار الكتاب العربي ، لبنان١٤٠٤هـ .

٩١ـ تجديد الفكر الإسلامي للترابي ، نشر دار القرافي ، سلا المغرب .

٩٢ـ تحت راية القرآن لمصطفى صادق الرافعي ، المكتبة العصرية ، مصر١٤٢٣هـ .

٩٣ـ تحريف النصوص من مآخذ أهل الأهواء ، بكر أبو زيد ، ط دار العاصمة ، الرياض .

٩٤ـ تحفة الأنام في العمل بحديث سيد الأنام ، للعلامة محمد حياة السندي ، تحقيق أبو علي طه ، دار ابن حزم ، الطبعة الأولى ، بيروت ، لبنان : ١٩٩٣م .

٩٥ـ تحفة المريد حاشية جوهرة التوحيد لإبراهيم اللقاني .

٩٦ـ تذكرة الحفاظ ، للذهبي ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٣٧٤هـ .

٩٧ـ التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ، للقرطبي ، طبعة دار المنهاج .

٩٨ ـ تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل ، للشيخ محمد الغزالي ، ط : المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، الطبعة الأولى ، دار الشروق ١٩٩١ م .

٩٩ـ ترتيب المدارك ، للقاضي عياض ، ط وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الرباط ١٣٨٤هـ .

١٠٠ـ تفسير روح البيان ، لإسماعيل حقي البروسوي ، ط : دار الفكر لبنان .

١٠١ـ تقريب التهذيب ، لابن حجر ، ط . دار الكتب العلمية ، بيروت .

١٠٢ـ تلخيص المستدرك ، للذهبي ، بهامش المستدرك ، ط دار الكتب العلمية ١٩٨٧ .

١٠٣ـ تهذيب التهذيب ، لابن حجر ، ط حيدر آباد ، الدكن ، الهند ١٣٥١ هـ .

١٠٤ـ تهذيب الكمال ، للمزي . تحقيق بشار عواد معروف ، و ط دار المأمون للتراث .

١٠٥ـ جامع الترمذي ، تحقيق أحمد شاكر ، وعطوة ، دار إحياء التراث العربي ، لبنان .

١٠٦ـ جامع بيان العلم وفضله ، لابن عبد البر ، ط : دار الفكر ، لبنان .

١٠٧ـ جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء العرب للهاشمي ، مؤسسة المعارف ، لبنان .

١٠٨ ـ جزء عقيدة ابن عربي وحياته ، لتقي الدين الفاسي ٨٣٢هـ مكتبة ابن الجوزي ١٤٠٨هـ

١٠٩ـ حجاب المسلمة ، د . محمد فؤاد البرازي ، أضواء السلف االرياض .

١١٠ـ حجة الله البالغة ، لولي الله الدهلوي ، ط دار إحياء العلوم ، بيروت ١٤١٠ هـ .

١١١ـ حرية الفكر والإعتقاد في الإسلام رؤية جديدة ، جمال البنا ، منشورات النبأ ١٩٩٨م .

١١٢ـ حوارات قصي صالح راشد الغنوشي،سلسلة الحوار منشورات الفرقانالبيضاء ١٩٩٣ـ

١١٣ـ خطابنا الإسلامي في عصر العولمة للشيخ القرضاوي – ط . دار الشروق .

١١٤ـ درء تعارض العقل والنقل ،لابن تيمية ، طبع دار الكنوز الأدبية ، لبنان .

١١٥ـ الدرر المرصعة بأخبار أعيان درعة ، محمد المكي الناصري ت بعد ١١٧٠ت محمد الحبيب نوحي-أكادير ، مرقون بخزانة جامعة ابن زهر أكادير المغرب .

١١٦ـ الدر المختار لعلاء الدين الحصكفي الحنفي ، دار الفكر ، بيروت – لبنان

١١٧ـ ذم الكلام لأبي إسماعيل الهروي- مكتبة الغرباء الأثرية ، الطبعة الأولى سنة ١٤١٩هـ

١١٨ ـ رجال اختلف الرأي فيهم من أرسطو إلى لويس عوض ، أنوار الجندي ، نسخة مرقونة .

١١٩ـ الرحلة المراكشية أو مرآة المساوئ الوقتية لابن المؤقت المراكشي ، دار الرشاد الحديثة ، المغرب .

١٢٠ـ رسالة في الطريق إلى ثقافتنا-لمحمود شاكر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة

١٢١ـ رفع الملام عن الأئمة الأعلام لابن تيمية ، ط دار الكتب العلمية ، لبنان .

١٢٢ـ روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني ، للآلوسي ، دار الفكر ، لبنان .

١٢٣ـ روض الرياحين في حكايات الصالحين ، لليافعي اليماني دار الكتب العلمية ، بيروت .

١٢٤ـ الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم ، لابن الوزير اليماني ، دار الكتب العلمية- ١٩٩٩م .

١٢٥ـ زاد المعاد في هدي خير العباد ، لابن القيم ، تحقيق سعيد الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط ، ط الثالثة عشر ، ١٤٠٦ هـ ، مؤسسة الرسالة ، مكتبة المنار الإسلامي .

١٢٦ـ زغل العلم ، للحافظ الذهبي ، تحقيق محمد بن ناصر العجمي ، مكتبة الصحوة الإسلامية .

١٢٧ـ سل الحسام الهندي في نصرة خالد النقشبندي : رسائل ابن عابدين ، ط: عالم الكتب بيروت .

١٢٨ ـ سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، ناصر الدين الألباني،مكتبة المعارف بالرياض ، ١٩٨٨م

١٢٩ـ سنن ابن ماجة ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ط دار الحديث بالقاهرة .

١٣٠ـ سنن الدارقطني ، ط عالم الكتب ، بيروت ١٩٨٢ ١٤٠٣ هـ .

١٣١ـ سنن الدارمي ، نشر دار إحياء السنة النبوية ، بعناية أحمد دهمان .

١٣٢ـ سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي ، ط درا الفكر ، بيروت

١٣٣ـ سير أعلام النبلاء للذهبي ، تحقيق الأرناؤوط مؤسسة الرسالة ، ط . بيروت ١٩٩٠ .

١٣٤ـ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، لأبي القاسم اللالكائي ٤١٨ هـ ، تحقيق أحمد سعد حمدان ، دار طيبة ، ط الثانية ١٩٨٥ ١٤٠٥ م .

١٣٥ـ شرح السنة ، للبغوي ، تحقيق زهير الشاويش ، والأرنؤوط،المكتب الإسلامي بدمشق ١٩٨٣ م .

١٣٦ـ شرح العقيدة الطحاوية ، لابن أبي العز الحنفي ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، وعبد المجيد التركي ، الطبعة الثالثة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ١٤١٢ هـ ١٩٩١ م .

١٣٧ـ شرح صحيح مسلم ، للنووي : دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٥ هـ .

١٣٨ ـ شرح علل الترمذي ، لابن رجب الحنبلي ، ط عالم الكتب ١٩٨٥ م .

١٣٩ـ صحيح ابن خزيمة ، تحقيق الأعظمي ، ط المكتب الإسلامي ، بيروت ١٩٧٥ .

١٤٠ـ صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الحديث ، القاهرة ١٤١٢ هـ .

١٤١ـ صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر ، لمحمد الصغير الإفراني١١٥٦هـ .

١٤٢ـ طبقات الصوفية للشعراني المسماة «الأنوار في طبقات الأخيار» ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

١٤٣ـ طريق الهجرتين وباب السعادتين ، لابن القيم ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٨٠

١٤٤ـ طوق الحمامة في الألفة والآلآف لابن حزم ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٢م بيروت .

١٤٥ـ عجائب الآثار في التراجم والأخبار لعبد الرحمن الجبرتي ت ١٢٣٧هـ ، ط مصر بولاق .

١٤٦ـ غياث الأمم في التياث الظلم ، لأبي المعالي الجويني ، ط . دار الفكر – بيروت .

١٤٧ـ فتاوى ابن تيمية ، ط المكتب الثقافي السعودي – المغرب .

١٤٨ ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري ،لابن حجر ، ط دار المعرفة ، بيروت .

١٤٩ـ فصل المقال في ما بين الحكمة والشريعة من اتصال ، لابن رشد ، طبعة دار المعارف ، القاهرة .

١٥٠ـ فصوص الحكم لابن عربي الحاتمي بشرح القاشاني ، ط البابي الحلبي مصر ، ١٤٠٧هـ .

١٥١ـ في التصوف الإسلامي وتاريخه . تأليف: رينولد نيكولسون ١٩٤٧ . ترجمة ، أبو العلا عفيفي .

١٥٢ـ فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات لعبد الحي بن عبد الكبير الكتاني ، تحقيق إحسان عباسدار الغرب الإسلامي ١٩٨٢ ، بيروت .

١٥٣ـ قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الأكابر ، أبو الهدى

الصيادي-دار الكتب العلمية-بيروت- لبنان ، ١٩٩٩م .

١٥٤ـ قواعد التحديث ، جمال الدين القاسمي ، ت . محمد بهجة البيطار ، دار النفائس ١٩٨٧م .

١٥٥ـ قواعد التصوف ، لأحمد زروق المالكي ٨٩٩ ، دار الجيل ، بيروت لبنان ١٩٩٢ م .

١٥٦ـ كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ، للحافظ العجلوني،ط . تحقيق أحمد القلاش ، مؤسسة الرسالة،١٤٠٥هـ

١٥٧ـ الكشكول لبهاء الدين العاملي ت١٠٣١ هـ ، المطبعة الميمنية مصر سنة ١٣٠٥ هـ

١٥٨ـ الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي – ط دائرة المعارف العثمانية ١٣٥٧

١٥٩ـ مجموع فتاوي ابن تيمية . جمع عبد الرحمن العاصمي ، ط الأولى ١٩٧٨م .

١٦٠ـ مختصر تلبيس إبليس ، علي الشريجي ، مؤسسة الرسالة ط الأولى ١٩٩٢م .

١٦١ـ مدارج السالكين شرح منازل السائرين لابن قيم ، درا الكتاب العربي بيروت .

١٦٢ـ مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ،لابن فضل الله العمري .

١٦٣ـ مسند الإمام أحمد ، لأحمد بن حنبل ، ط دار صار ، بيروت ، لبنان .

١٦٤ـ مشتهى الخارف الجاني في رد زلقات التجاني الجاني للشيخ محمد الخضر الجكني الشنقيطي ت ١٣٥٥ هـ . طبعة دار البشير عمان الطبعة الأولى . ١٤٠٥ هـ

١٦٥ـ مشكل الحديث وبيانه ، لابن فورك ، ت عبد المعطي أمين قلعجي ، دار الوعي ، حلب،١٤٠٢هـ

١٦٦ـ معجم البلدان لياقوت الحموي ، ط دار صادر بيروت .

١٦٧ـ معيد النعم ومبيد النقم ، للسبكي ، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت ، ١٩٨٦ م .

١٦٨ ـ مفتاح دار السعادة ومنشور الولاية والعلم والإرادة ، لابن القيم دار الكتب العلمية ، لبنان

١٦٩ـ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، للأشعري ط : الثانية بمصر ١٩٦٩ م .

١٧٠ . مقدمة ابن الصلاح ، تحقيق نور الدين عتر،ط دار الفكر لبنان ، ١٤٠٦هـ .

١٧١ـ مقدمة ابن خلدون ، دار الفكر ، بدون تاريخ .

١٧٢ـ من التراث إلى الثورة ، طيب تزيني ط الثالثة بيروت ١٩٧٩م .

١٧٣ـ منهاج السنة النبوية ، لابن تيمية ، ط جامعة الإمام محمد بن سعود ١٤٠٦ هـ .

١٧٤ـ منهجية القرآن المعرفية : ٧٤ وما بعدها ، ط : المعهد العالمي للفكر الإسلامي .

١٧٥ـ موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول لابن تيمية ، تحقيق محمد حامد الفقي .

١٧٦ـ موضح أوهام الجمع و التفريق ، للخطيب البغدادي ، تحقيق د . عبد المعطي أمين قلعجي ، دار المعرفة – الطبعة الأولى بيروت ، ١٤٠٧هـ .

١٧٧ــ ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، للذهبي ، ط : دار المعرفة ، لبنان١٣٤٨م .

١٧٨ ـ نشأة التفكير الفلسفي في الإسلام ، د . سامي النشار ط . الثالثة ، دار المعارف بيروت ، ١٩٦٥ هـ .

١٧٩ــ نظرية التقعيد الفقهي ، د: محمد الروكي ، ط كلية الآداب الرباط ، ١٩٩م .

١٨٠ـ نقد الطالب لزغل المناصب لابن طولون ، دار الفكر المعاصر بيروت ، ١٩٩٢ م .

١٨١ـ نهر الذهب في تاريخ حلب ، لكامل حسين الغزي ، المطبعة المارونية ، حلب – ١٩٥٢م .

١٨٢ـ نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار للشبلنجي ، مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٤٨م

١٨٣ــ نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، ١٩٨٩ م .

١٨٤ـ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، لأبي منصور عبد الملك الثعالبي ، دار الكتب العلمية: ١٤٠٣هـ .

*****